مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

7

سلسلة الأعداد الخاصة

ما وراء الطبيعة

د. أحمد خالد توفيق



أغانى المهد

المقدمة

اسمى (رفعت إسماعيل) .. بالنسبة للبعض أنا شخص رائع يملك خبرات غير معتادة ، وبالنسبة للبعض الآخر أنا ثرثار مسن يجمع بين الخرف والنصب ..

لا يهم .. لقد كففت منذ أعوام عـن الاهتمام بما يراه الناس فى شخصى . لو اعتقـدت أن عنصر الجاليـوم لا أهميـة له ، ولو اعتبرت أنه ثمين جدًا ، فلا فـارق .. هـذا لن يؤثر فى الجاليوم نفسه ولن يغير رقمه الذرى .

أصارحك القول إننى لا أحب الجاليوم ولا أثق فيه ، لكنى أقبل وجوده كأى شىء آخر ..

هذا الكتيب من سلسلة الأعداد الخاصة ، وكما قلت سابقًا يمكن أن يصدر عدد خاص كل شهر ، ويمكن أن يصدر كل عدة أعوام . المهم أن تكون هناك فكرة جديدة أو غريبة أو يكون هناك شكل مختلف للسرد ..

لقد جاء الوقت .. لا تقاطعنى من فضلك ودعنى أقص الفكرة قبل أن تطير .. إنها خيط دخان فلو تأخرنا لتبدد ..

إن أغانى الأطفال تثير رعبى منذ زمن بعيد . أعتقد أنها تحمل لمسة من مخاوف البشرية القديمة ، ومن المؤكد أنها تشكل مخاوفنا القادمة لفترة طويلة .. أى أن مخاوفنا تصنع هذه الأغانى ، وهذه الأغانى تصنع مخاوفنا .. ميراث من الخوف عبر الأجيال ، كما أنها تشبه الأحلام فى أنها لا تصرح بشىء ... هناك تلميحات ورموز .. يبدو أن المهتمين بطريقة (يونج) فى التحليل النفسى يجدون دومًا ما يروق لهم فى أغانى الأطفال هذه ..

كانت لى قصة رهيبة مع أغانى الأطفال ، وفى الوقت نفسه هى أقرب إلى لعبة . هذا هو ما سوف نتكلم عنه الآن ..

تمهيد

— 1 —

الدراسة فى بلد ما تجعل الدارسين يشعرون طيلة حياتهم بأنهم ينتمون لهذا البلد ، أو أنه وطنهم الثانى . وهذا شىء يسهل اكتشافه عندما تقابل عراقيًّا درس القانون فى مصر ، أو طبيبًا ماليزيًّا درس فى القصر العينى ، أو إمام مسجد فى طشقند درس فى الأزهر . نفس الحنين تجده لدى المصريين الذين عملوا فى المملكة العربية السعودية لفترة طويلة ، أو كانوا فى بعثات بالاتحاد السوفييتى فى الستينيات ، أو أمثالى ممن درسوا فى إنجلترا .

هناك دومًا ذلك الانتماء وذلك الحنين .. أما لو تزوج الدارس واحدة من بنات ذلك البلد ، فالقصة معروفة .. إن انتماءه يكون غير مشروط وهو ما يسمونه (مركب طه حسين) ..

أنا أحمل الكثير من الحب لإنجلترا .. ليس لدرجة وطنى طبعًا ، لكن لو نفيت من مصر فلن أختار بلدًا سوى إنجلترا . الحب

الوحيد فى حياتى موجود هناك .. ولدىَّ عدد هائل من الأصدقاء الذين أحببتهم حقًّا .. ربما لو اقتربت منهم اليوم لما وجدتهم بنفس الجودة ، فقط كانوا أصدقائى بينما النفس صافية وبكر ، لذا كان كل شىء نضرًا نديًّا ...

المهم أننى كنتُ فى إنجلترا فى واحدة من زياراتى الدورية ..

هذه المرة كنت أقيم فى لندن .. لم أذهب إلى إنفرنسشاير ، وهى من المرات القليلة التى جاءت فيها ماجى لتزورنى فى لندن ..

كانت هذه هى البداية ...

أحاول أن أختصر القصة أكثر ، حتى لا أغرقك فى مقدمات طويلة . سـوف نمارس أسـلوب السرد الذى يطلقون عليه In Medias Res أى أن تبدأ فى مشهد الذروة ثم تبدأ التفسير تدريجيًّا ..

* * *

لم يمس أحد الغرفة منذ ... منذ تلك الأحداث ..

بالفعل كان زجاج النافذة المهشم يملأ الأرضية ، وقد احترق جزء من الستائر .. هناك مزهرية على شكل بطة قد تهشم منقارها ..

الملاءة نفسها التى تناثرت عليها رسوم الفيلة الظريفة الذاهبة للمدرسة كانت قد احترقت فى عدة أجزاء . بقع الدم على الجدار الرئيس تثير الوجل فى النفوس .. أنا رأيت الكثير من الدم .. أعرفه .. أعرف لونه عندما يفسد .. أشمه ..

لكن ما يثير الرعب فعلاً هو أن تتذكر تقرير المختبر : هذا ليس دمًا ... إذن ما هو ؟.. لا أحد يعرف . سائل يبدو كالدم ويتجلط كالدم وله رائحة الدم... لكنه ليس دمًا . هذا مخيف ..

ربما لو كان دمًا لبدا الأمر أفضل ..

دنوت من النافذة وألقيت نظرة على الخارج .. المقبرة وشواهدها التى تنعس فى ضوء القمر ..

سألت (زاكارى) وأنا أرتجف من رهبة المشهد الصامت الكئيب :

ــ « هل حقًّا تجد من الطبيعى أن تطل غرفة طفل على مقبرة ؟ »

دفن رأسه فى ياقة البول أوفر العالية الصوفية ، كأنه سلحفاة وقال :

ــ « هذه هى الغرفة الوحيـدة الممكنة فى الدار ، والحقيقة أنها لا تناسب أى شخص فى الدار سوى طفل .. هو الوحيد

لخداع البلهاء . لدى حاسة أعرف بها إن كان الأمر حقيقيًا أم نصبًا .. واليوم تخبرنى هذه الحاسة أن الأمر غير حقيقى ..

الاسم الذى يتردد فى ذهنى هو (جيمس راندى) .. الساحر الأمريكى العظيم الذى وضع على عاتقه كشف النصابين . لقد أفسد كل جلسة تحضير أرواح وكل تجربة خارقة حضرها ... إن بينى وبينه مراسلات طويلة ، ولعله يقبل أن يفحص هذه الغرفة ..

كان السقف يهبط ويهبط ..

حتى بدأت أشعر بأنه يلامس قمة رأسى .. بالفعل على بعد مترين كان الكشاف المعلق فى السقف قد صار فى متناول اليد ...

ونظرت لزاكارى متوقعًا أن يقول لى إن وقت الارتفاع قد جاء .. لكنه كان قلقًا ..

قال وهو يخرج رأسه من ياقة البول أوفر :

ــ « غريب .. لم يهبط السقف لهذا الحد من قبل .. »

ــ « إذن تعال نغادر الغرفة .. الآن .. »

قال بنفس القلق :

ــ « أتمنى هذا لكن الباب مغلق ! »

ـ 2 ـ

يا له من مأزق !

ركضنا نحو الباب وقد حنينا القامات .. بالفعل يزداد السقف هبوطًا .. لا شك فى هذا .. لو كانت هذه آلية فقد تلفت ...

لن يستمر .. أعمدة السرير عالية وسوف تمنعه .. بالتأكيد ما لم يكن أثقل من المعدن ..

تبًا .. لقد صرنا مرغمين على الزحف ..

الغريب أن هذا الهبوط لم يدمر اللوحات المعلقة أو يهشم خزانة الثياب .. كأن هذه الأشياء تغوص فى فجوات معدة لها مسبقًا داخل السقف . وبدأت السيدة تعوى صارخة :

ــ « ويليام !... نحن لم نؤذك فى شىء !... لا تقتلنا !... »

ثم شعرت بها تعتصر ربطة عنقى المتدلية كذيل الحمار ، وراحت تصيح :

ــ « أنت !.. أنت العنصر الجديد .. هو لا يحبك ! »

تدلى لسانى لأنى موشك على الاختناق ، وقلت لها لاهثًا :

ــ « أنا كذلك لا أحبه .. لكنى لم أفعل أى شىء بعد ... »

فجأة توقف السقف عن الهبوط .. ولم نصدق أنه يرتفع فعلاً إلا عندما فعل ذلك ..

الحمدلله .. فجأة يتسع مجال الرؤية والتنفس ونعود قادرين على الوقوف .. لو تمادى لكانت نهاية بشعة فعلاً ...

أخيرًا وقفنا وتنفسنا الصعداء ...

بعد صمت طال قال (زاكارى) :

ـ « أعتقد أن خطتك بصدد قضاء الليلة هنا قد تغيرت ! »

قلت فى تصميم :

ـ « بالعكس ... أعتقد أن تصميمى قد تزايد ! »

* * *

لم تكن فى الأمر شجاعة ، ولا هى متلازمة الضحية الغبية التى يعرفها كل قراء قصص الرعب ..

الفكرة هى أننى لا أطيق الظلام .. أن تكون هناك بقاع مظلمة فى عالمى لا أرى ما فيها ولا أستطيع . هذا يقتلنى رعبًا .. من الأفضل أن أنتظر وأرى ...

كانت القصة بسيطة جدًا ..

هذا البيت يقع عنـد أطراف لنـدن قـرب منطقة تدعى (بارنزبيرى) ..

من قرءوا مسرحية (المصيدة) أو (ثلاثة فئران عمياء) لأجاثا كريستى يعرفون هذا الجو الكابوسى ..

إنها الحرب العالمية الثانية ..

طائرات هتلر تقصف لندن وتحوم فى سمائها حتى توشك أن تجعل النهار ليلاً... آلاف الأطنان من المتفجرات تهوى لتحيل لندن إلى كومة من الركام والغبار .. ويبدو واضحًا أن اللحظة الأخيرة قادمة لا محالة وسوف يعبر هتلر المانش لتسقط بريطانيا فى قبضته (وهو ما لم يحدث بسبب حماقة هتلر وحسن حظ العالم) .

فى هذا الوقت قام أهالى لندن بتهجير كل الأطفال خارج المدينة . كلهم عاشوا فى الريف بعيدًا عن القنابل والهول الهابط من السماء .. النتيجة هى أن بعض هؤلاء الأطفال عاش مع أسر قاسية جدًا أو عانى مع نساء قاسيات أو معقدات ، وقد

كانت قصة المصيدة كما قلنا تحكى عن انتقام طفل من هؤلاء من زوجة المزارع التى أساءت معاملتهم فى طفولتهم ..

لم يكن ما حدث لــ (ويليام أتنبورو) بهذه القسوة .. الواقع أنه هو الذى جلب الصعاب على رأس من استضافوه ..

من البداية تقول زوجة الفلاح (إيما كواريمان) إنها ذهبت لمحطة القطار لتستقبل الصبى الذى أخبروها بقدومه . كانت متوترة وكان الجو مدلهمًا رماديًا .. تعرف هذه الأجواء التى تكون مرآة تعكس حالتنا النفسية .. كان مزاج السماء يتعكر بسبب تعكر مزاجنا وليس العكس ..

عندما هبط من القطار عرفت أن مخاوفها قد تحققت ..

الصبى مزعج فعلاً وله نظرة شريرة ثاقبة .. كما أنه كان يحمل حقيبة صغيرة فيها حاجياته وكتابًا أنيقًا مليئًا بأشعار الطفولة ، التى تنشدها الأمهات فى المهد Nursery songs ..

مدت يدها لتأخذ الكتاب على سبيل مساعدة الغلام ، هنا رأت باب الجحيم ينفتح فجأة ..

لقد عوى .. بالضبط عوى واحتضن الكتاب بشراسة ...

ثم إنه انفجر فى بكاء محموم مجنون عالى الصوت أقرب لنوبة صرعية ، حتى أنها تراجعت مترين للخلف .. رد فعله عنيف وغريب أقرب لوحوش الغاب .. ثمة شىء غير بشرى فى استجابته ..

لما ركب جوارها فى سيارة زوجها المزارع (كواريمان) بدأ يهدأ قليلاً ، وقدرت هى أن أفعاله ليست كلها نتيجة لأنه وغد ، ولكن هناك قسطًا لا بأس به من التوتر العصبى نتيجة ترك أبويه وبيئته ..

من يدرى ؟.. هل يعود للندن ؟.. هل يجد أبويه هناك عندما يعود ؟.. هل يستطيعان الصمود حيين فى أنفاق المترو بينما الغارات تهز العاصمة ؟

هتلر المخبــول يقــذف لندن بالقنابل كأنه يريد أن يغطيها بالحديد .. لا يمكن أن تتوقع أن تقابل أطفالاً ذوى نفوس سوية .

لكنها فى المزرعة بدأت تشعر بأن الصبى غير سوى فعلاً . كان عصبيًا كثير الصمت ما عدا انفجارات تتكرر من حين لآخر فلا تبقى ولا تذر . كانت غرفته تطل على المقابر ، لكن لم يبد أن هذا أقلقه أو أنه لاحظه .. قال لها زوجها إن هذا قد يكون سببًا فى توتر الطفل ، فقالت (إيما) :

ــ « تعنى أنه لا ينام ؟ »

ــ « بل هو ينام .. أمرر يدى أمام عينيه وأكلمه فلا يرد ... إنه ينام لكن لا ينغلق جفناه ! »

كان هذا أقوى منه ، أما الأسوأ فهو أن الصبى بارد تمامًا .. بارد كأنه لوح ثلج فى الفراش .. يعرف الجميع أن الحرارة هى التى تشع والبرد لا يشع .. هذا هو الكلام الفيزيائى الدقيق ، لكننا كذلك نشعر بأن لوح الثلج يشع بردًا ... هكذا شعر الصبى بأن ويليام يلسعه بالبرد ..

ــ « أنا لن أكمل الليل معه .. »

هكذا بدأت النظرية تولد : هذا الصبى شيطان .. لا شك فى هذا ...

أصرت الزوجـــة على كلامهـــا بينمـــا أصر زوجها على أنها بلهاء ...

طلبت أن يأتى القس ليتلو بعض الصلوات ، وقد فعل هذا فعلاً .. جاء الأب (جيروم) وكان متحفظًا بصدد نظرية المس الشيطانى .. شرب الشاى الذى يحبه كثيرًا ثم قال لها :

ــ « إيما .. نحن نمر بظروف غير طبيعية ، وكل طفل مصدوم نفسيًا بشكل ما .. لو دققت فى كل صبى لشعرت بأنه شيطانى بلا شك .. »

وانصرف .. وعرف الزوجان أن مشكلتهما ستبقى إلى أن تسترد الحكومة وديعتها ..

ثم جاءت الليلة ..

الليلة التى لم ينسها كل سكان بارنزبيرى بعد ...

الليلة التى عرف فيها آل كواريمان حقيقة الصبى الذى يعيش تحت سقفهم ..

— 3 —

لم يقصد أحد ما حدث فى تلك الليلة ..

هذا ما حكاه لى كواريمان الشيخ وهو جالس جوار المدفأة .. رتجف شفته السفلى ويسيل منها اللعاب . لقد ماتت زوجته منذ عوام .. أما هو فعاش المأساة كل يوم ...

ما حدث فى الماضى هو أن بائعة اللبن التى كانت تتردد على مزرعة كان لها ابن اسمه دوجوفان ، وكان يحاول استمالة صبى ويليام أو مصادقته بلا جدوى ..

فى النهاية بدأ يغلظ له القول ويضايقه ..

ويبدو كما يرى الشيخ لأنه تسلل لحجرته بينما كان يأكل فى عة لطعام ، فلما لم يجد لديه أى كنز يسرق قرر أن يسلبه اب أغانى المهد ..

سرق الكتاب ثم ذهب إلى خلف شجرة ومزق أوراقه ، بل إنه تعمل بعضها كورق تواليت .. ولابد أنه شعر بسرور جهنمى ذا الفعل الوحشى .. لا أحد يدرك كم هو وحشى إلا من رأى كم ب الصبى كتابه هذا ...

عندما جاء المساء اكتشف ويليام أن كتابه غير موجود ..

خرج من حجرته وراح يعوى كالمجنون ، فهرعت زوجة لاح تهدئ خاطره .. وراح الأب (كواريمان) يبحث عن

الكتاب فى كل مكان .. فى النهاية عاد ببعض الصفحات الممزقة ووضعها فى صمت على فراش الصبى ..

قال له بصوت مبحوح :

ــ « لا أعرف من فعل هذا لكنى سأجده وأعاقبه .. »

وربتت السيدة على كتف ويليام لكنه كان يتصرف كذئب .. أنشب أنيابه فى يدها وراح يصرخ صراخه الجحيمى المخيف ..

ما أهمية هذا الكتاب له ؟.. ما الذى يستحق هذه الضوضاء ؟

هنا فقد المزارع أعصابه فصفع ويليام بقوة :

ــ « سأعلمك ألا تعض أمك أيها الوغد ! »

انطلق سباب ويليام القذر :

ــ « ليست هذه الـــ ... أمى .. إنها فلاحة غبية جاهلة ! »

من جديد صفعه المزارع وقد فقد أى عطف عليه ، ثم حمله من قدميه وألقاه فى حجرته ، وأوصد الباب فى عناية .. الجوع والوحدة يشفيان الأمراض الأخلاقية جميعًا ... دعه يتلق درسًا .. دعه يتعلم أن السبب الوحيد الذى يمنع الناس من قتله وصفعه هو أن أبويه فى لندن ، وقد ماتا على الأرجح ..

ــ 3 ــ

لم يقصد أحد ما حدث فى تلك الليلة ..

هذا ما حكاه لى كواريمان الشيخ وهو جالس جوار المدفأة .. ترتجف شفته السفلى ويسيل منها اللعاب . لقد ماتت زوجته منذ أعوام .. أما هو فعاش المأساة كل يوم ...

ما حدث فى الماضى هو أن بائعة اللبن التى كانت تتردد على المزرعة كان لها ابن اسمه دوجوفان ، وكان يحاول استمالة الصبى ويليام أو مصادقته بلا جدوى ..

فى النهاية بدأ يغلظ له القول ويضايقه ..

ويبدو كما يرى الشيخ لأنه تسلل لحجرته بينما كان يأكل فى قاعة لطعام ، فلما لم يجد لديه أى كنز يسرق قرر أن يسلبه كتاب أغانى المهد ..

سرق الكتاب ثم ذهب إلى خلف شجرة ومزق أوراقه ، بل إنه استعمل بعضها كورق تواليت .. ولابد أنه شعر بسرور جهنمى لهذا الفعل الوحشى .. لا أحد يدرك كم هو وحشى إلا من رأى كم يحب الصبى كتابه هذا ...

عندما جاء المساء اكتشف ويليام أن كتابه غير موجود ..

خرج من حجرته وراح يعوى كالمجنون ، فهرعت زوجة الفلاح تهدئ خاطره .. وراح الأب (كواريمان) يبحث عن

الكتاب فى كل مكان .. فى النهاية عاد ببعض الصفحات الممزقة ووضعها فى صمت على فراش الصبى ..

قال له بصوت مبحوح :

ــ « لا أعرف من فعل هذا لكنى سأجده وأعاقبه .. »

وربتت السيدة على كتف ويليام لكنه كان يتصرف كذئب .. أنشب أنيابه فى يدها وراح يصرخ صراخه الجحيمى المخيف .. ما أهمية هذا الكتاب له ؟.. ما الذى يستحق هذه الضوضاء ؟

هنا فقد المزارع أعصابه فصفع ويليام بقوة :

ــ « سأعلمك ألا تعض أمك أيها الوغد ! »

انطلق سباب ويليام القذر :

ــ « ليست هذه الـــ ... أمى .. إنها فلاحة غبية جاهلة ! »

من جديد صفعه المزارع وقد فقد أى عطف عليه ، ثم حمله من قدميه وألقاه فى حجرته ، وأوصد الباب فى عناية .. الجوع والوحدة يشفيان الأمراض الأخلاقية جميعًا ... دعه يتلق درسًا .. دعه يتعلم أن السبب الوحيد الذى يمنع الناس من قتله وصفعه هو أن أبويه فى لندن ، وقد ماتا على الأرجح ..

وهكذا أمر زوجته بألا تقدم العشاء للصبى .. وبالطبع لم تكن هناك شموع فى الغرفة ، ولم يكن هناك تيار كهربى بسبب ظروف الحرب ..

ظلام .. جوع .. وحدة .. لا قراءة .

* * *

عند منتصف الليل دوت صرخة مرعبة ..

بدأ البيت يترجرج بقوة .. ولم يفهم أحد ما يدور بالضبط .. هل هو زلزال ؟

قالت الزوجة وهى تضع على كتفيها روبًا :

ـ « هذه غرفة الصبى .. الصوت آت من هناك .. »

أحضر المزارع بندقيته (القرابينة) وهرع إلى غرفة الصبى الموجودة فى خلفية المزرعة ، عند الجهة المطلة على المقابر ..

الباب كان موصدًا من الخارج كما قلت ، ولا وقت للبحث عن المفتاح ، فهشمه بحذائه ودلف إلى الداخل ..

هنا رأى أن الغرفة قد تحولت لبؤرة مجانين ..

الستائر تشتعل .. تشتعل بلون أزرق غريب لم يره من قبل . الملاءات تحترق .... كل شىء مهشم أو مبعثر أو يهتز بلا توقف ..

أما أغرب شىء فهو أن الدماء كانت تتدفق من بقعة واحدة .. تسيل من الجدران بلا توقف ، لكن هناك جسمًا داميًا يتفجر فى مركز الغرفة ..

على ضوء اللهب بدا لوهلة كأن الصبى نفسه يتفجر .. كأنه يتحول إلى مطر دموى مستمر ..

وصرخ المزارع وجاء الرجال من القرية بالدلاء يحاولون إطفاء النار ..

اعتقد البعض أن الغارات الألمانية بلغت هذا الموضع ..

وعندما سيطروا على النيران فى الثالثة صباحًا بدا كأن الصبى قد تبخر تمامًا .. وهو ما أكد نظرية الرجل أن الصبى تفجر وهو مصدر هذه الدماء ..

منذ ذلك الحين لم تعد القرية كما كانت ...

سقط فوقها ظل كالذى سقط فوق إينزماوث فى قصة لافكرافت ..

أغلقت الغرفة بعد ما صلى فيها الكاهن ، لكن لم يتم تغيير أى شىء أو إعادة طلائها .

فقط لاحظ الرجل الذى أغلق الغرفة أن هناك كتابًا فوق الفراش . كتابًا سليمًا وبحالة جيدة .. كان كتابًا لأغانى المهد الخاصة بالأطفال ..

* * *

عندما جئت أنا لم يكن هذا بسبب شجاعتى الفذة ..

السبب هو المجلة الأمريكية المهتمة بالظواهر الفورتية ، والتى طلبت منى مقالاً عن تجربتى مع هذا البيت . أنتم تعرفون أننى زرت مسكن القس بورلى من قبل ، والذى يقال إنه أكثر الأماكن ازدحامًا بالأشباح فى إنجلترا . كتبت عنه مقالاً جيدًا لذا طلبوا منى مقالاً آخر .. طبعًا يجب أن أكون جبانًا جدًا أو زاهدًا جدًا كى أرفض هذا العرض مع المكافأة المجزية التى تنتظرنى ..

لهذا جئت إلى بارنزبيرى وقابلت كواريمان الشيخ الذى حكى لى هذه القصة . هناك أطفـال صاروا شبابًا ؛ ومنهم دوجلاس الذى حاول أن يمضى ليلة مع ويليام ، ودوجوفان الذى سرق كتاب الأغانى ، وزاكارى وبيركمان اللذان كانا صديقيه إلى حد ما فى المدرسـة .. زاكارى وبيركمان صـارا مسئولين عن المزرعة ..

سمعت حكاية كل منهم وذكرياته عن هذا البيت ..

وفى النهاية صممت على أن أمضى ليلتى وحيدًا فى هذه الغرفة ..

قالوا لى إننى شجاع ، لكنى لمحت فى عيونهم التعبير الدقيق : أنا مجنون ... لا شك أنهم قابلوا مجانين كثيرين مثلى من قبل ..

وهكذا أحضر لى زاكارى بعض الطعام والشراب .. الآن صار فى المزرعة كهرباء وهاتف طبعًا ..

طلبوا منى أن أتصل بهم لو حدث شىء .. سوف أكون وحدى طيلة الليل لكن سوف نلتقى فى الصباح ..

ثم دنا منى زاكارى ليهمس :

ــ « هل المس الشيطانى يحدث ؟ »

قلت فى دهشة :

ــ « معلوماتى أنه يحدث .. »

قال وهو يرتجف :

ــ « إذن أنا أشك كثيرًا فى الموجودين حولنا .. أحدهم يحمل روح الصبى بلا شك .. وهو مستمر فى الإيذاء .. لقد احترق

ويليام لكن روحه مست أحد هؤلاء .. كواريمان الشيخ أو دوجلاس أو دوجوفان أو بيركمان .. »

قلت له فى غيظ :

– « لا تنس أنك مشتبه فيه أيضًا بهذا المنطق .. ويليام كان يحبك نوعًا .. »

رص على المائدة أطباق الطعام والفاكهة ثم قال :

– « هذا صحيح .. أحدنا ملعون ويجب أن يموت لتنتهى هذه اللعنة . لكن من ؟ »

– « لو كنت أنت فلن تفصح طبعًا .. »

ضحك ضحكة شريرة كشفت عن صفى أسنانه المتسخة وحيانى ليذهب ..

قبل أن يغلق الباب قال وهو يشير للفراش :

– « هذا هو الكتاب اللعين الذى كان يحبه .. لقد مزقه دوجوفان شر ممزق .. برغم هذا وجدناه فى الغرفة من جديد وبخير حال .. هذا الكتاب كذلك ليس على ما يرام .. كتاب شيطانى لو كان لى أن أقول هذا .. »

ثم انصرف ..

جلست جوار المنضدة وأخرجت كتابًا من كتبى المملة رحت أقرأ فيه ...

سوف تكون ليلة طويلة بالتأكيد ...

اقرأ كتاب الأغانى ... اقرأ كتاب الأغانى ... اقرأ كتاب الأغانى ...

الصوت يتردد فى ذهنى فأفتح عينى .. يبدو أن الدفء جعلنى أغيب عن الوعى للحظات .. أى كتاب ؟.. كتاب الأغانى على الفراش .. من الذى يريدنى أن أقرأ ؟

كنت أعرف الإجابة طبعًا .. ويليام ..

رفعت رأسى للسقف فشعرت أنه يهبط ... ويهبط ..

اللعنة !... سوف تكون ليلة نابغة حقًا ...

مددت يدى إلى الكتاب الأنيق .. كان عبارة عن مجموعة من أشعار الأطفال البريطانية .. تُقرأ للأطفال فى الفراش لتعينهم على النوم .. يبدو أنهم يترجمونها أحيانًا بالتهويدة lullaby ..

بحثت فى الصفحات فسقطت قصاصة ورق .. قربتها من عينى لأعرف ما فيها :

أنا القس جيروم الذى قام بتطهير هذا المكان . إن الشر لم يبرحه بعد واللعنة التى يحملها الغلام تكمن فى صفحات هذا الكتاب الرهيب وبين أغانيه . أنت أيها المسافر الشجاع جرب أن تقرأ هذه الأغانى كاملة وأن تخوض تجارب مرعبة .. لكنك سوف تصل للجواب وتعرف من الذى أصيب بالمس الشيطانى فاستوجب أن يموت صونًا للآخرين . أنا لم أجسر على ذلك فلعلك أنت تجسر ...!

وضعت القصاصة جانبًا ورحت أضحك ..

كيف تقودنى أغانى أطفال إلى تجارب مرعبة ؟.. كنت فى الماضى أخاف كثيرًا قصة ذات الرداء الأحمر عندما تواجه الذئب المتنكر كجدتها .. فهل الرعب هنا من هذا الطراز ؟

فتحت الكتاب وأصغيت للصمت البعيد .. ثمة ذئب يعوى فى مكان ما بالمقبرة .. هذا هو صوت الوحشة والليل والخوف .. بدأت أقرأ ..

فجأة لم أعد فى الغرفة على الإطلاق ..

كنت فى عالم آخر معقد ...

القصة الأولى

شيخ ضيق الخلق

— 1 —

كان الانتقال عنيفًا قاسيًا ..

أنا ممن يشعرون بالفظاظة والغلظة أكثر من سواهم ، وقد شعرت كأننى تلقيت صفعة عنيفة فعلاً .. أطير فى الهواء أو فى دوامة لا نهاية لها ، ورأسى يوشك على الارتطام بالجدران ..

ثم فتحت عينى ...

كان ما رأيت غريبًا فعلاً ..

* * *

هناك غابة .. غابة رائعة الجمال من تلك التى ملأت أحلامنا فى الصبا . صفحة مقطوعة من كتيب لقصص الأطفال حيث تلك العوالم العجيبة . يمكنك أن تراهن على أن كل الناس حطابون وكل النسـاء يلبسن أحذية خشبية ، وكـل الأبقـار بجرس فى أعناقها ..

هذا مكان مناسب للكتاب فعلاً ..

مشيت وسط الأعشاب الندية .. أسمع صوت العشب وهو ينمو تحت قدمى بالمعنى الحرفى للكلمة . هذا ريف بريطانى أو فرنسى أو ألمانى بلا شك ..

هناك كوخ فى نهاية الطريق ..

كوخ قصص مناسب جدًا حيث يتصاعد الدخان بكثافة من المدخنة ، وهناك فطيرة فى النافذة .. لابد أن صاحبة الكوخ تضع عليها العسل ولابد أن النحل يتجمع من المرج ليقف عليها ..

سمعت صوت عواء مرعبًا ..

بالنسبة لى بالطبع لا يعنى العواء سوى أشياء بسيطة تعسة ورهيبة ، لذا وثبت مترين فى الهواء .. ثم دققت النظر فرأيت أنه لا داعى لخوفى ..

هناك قطان يتشاجران ..

للحيوانات أساليب غريبة فى القتـال واستعراض القـوة .. لا يتصرفون مثل الوقفات المكسيكية التى نراها فى السينما ، بل تشعر أن القطتين تتحاشيان تبادل النظرات .. هناك قطة تخفض رأسها فى ذل وتبدو أقرب للحزن منها للتخويف أو الخوف ..

الأخرى تحوم من بعيد ، ثم يبدو أنهما نسيتا القتال وأنهما راغبتان فى النوم ..

تمر اللحظات ثم يبدأ الالتحام الشنيع .. مع أصوات مرعبة تجمد الدم فى العروق ؛ فتتذكر أنت أنه مهما كان القط وديعًا مستأنسًا ، ففى النهاية هو ينتمى لنفس عائلة النمور والأسود ..

كان القتال عنيفًا والصوت عاليًا ورأيت دمًا وفراء يتطاير ..

هذان سوف يقضيان على بعضهما ما لم ....

ما لم يخرج هذا الرجل بالخرطوم ..

فعلاً .. أحسنت ..

هوى بالخرطوم عليهما ففضلتا مواصلة القتال بعيدًا .. أطلق سبة بالإنجليزية وهرع إلى الداخل وبعد دقيقة كان الماء يتدفق من الخرطوم بقوة .. وسرعان ما فرت القطتان ...

كان شيخًا شرس المنظر .. رث الثياب .. يلبس فانلة داخلية مبقعة بالطماطم والبرتقال ، وله شارب كث وحاجبان من الطراز الذى تشعر أنه شارب آخر .. هناك حواجب كثة تثير ذهولى فعلاً ...

نظر لى مليًا فتوقعت أنه سيرش الماء فى وجهى بدورى ، لكنه هدأ قليلاً ثم قال :

ــ « من أنت ؟ »

قلت فى رعب :

ــ « عابر سبيل .. »

قال والخرطوم يرسل الماء مدرارًا :

ــ « قطط لعينة ... لو خيرت لشنقتها جميعًا .. »

ثم ألقى بالخرطوم على الأرض فراح الماء يتدفق فى الحديقة .

قال لى :

ــ « تعال .. »

كانت لهجته آمرة بحيث لم أجد مناصًا من أن أمشى وراءه ...

فى الداخل كانت هناك منضدة عليها إناء حساء ... هناك رغيف ضخم وهناك سكين .. هناك فخذ خنزير وهناك زجاجة نبيذ ..

منضدة تقليدية جدًا بالنسبة لحطاب غربى ..

كان المكان رحبًا ونظيفًا برغم أنه لا يوحى بذلك من الخارج ، وأدركت أن هناك أنثى بالتأكيد هنا ... ثمة لمسات لا يقدر هذا الرجل الفظ على أن يضيفها ، ومنها طبعًا لون الستائر ..

يبدو أنه أغلق صنبور الماء ، وصب لنفسه الكثير من الشراب فى كأس ولم يعـرض علىّ ، وكنت سـأرفض بالطبـع لكـن هذا أراحنى .. بعض هؤلاء القوم يعتبرون عدم الشرب معهم إهانة ..

جرع جرعة هائلة ثم قال وهو يمسح فمه بكمه :

ـ « قطط لعينة .. »

على الجدار كانت هناك صورة مرعبة للرجل .. هذا ليس فيلم رعب لكنه مصرٌ على أن وجهه يصلح لتزيين الأكواخ . صورة بالأبيض والأسود تحمل ذلك الطابع العتيق (سفوماتو) الذى يوحى بأن صاحب الصورة مات ..

كنت قد قررت ..

هذا الرجل ليس على ما يرام والجلوس معه خطر .. سوف أنتظر بعض الوقت ثم أنسحب ..

نظر لى من تحت حاجبيه الكثين كأنه كلب يختلس النظر من تحت أجمة ، وقال :

ـ « عابر سبيل ؟.. ماذا تعبره بالضبط ؟ »

قلت بصوت مبحوح :

ـ « ضللت طريقى ووجدت نفسى هنا .. »

أمسك بالسكين وقبض عليها بشراسة ، ثم غرسها فى المنضدة ..

لم أدر إن كان يقصد تهديدى أم لا لكننى ارتجفت لهذه الحركة القوية .. هناك قصة مشابهة لهذا من قصص لافكرافت الرهيبة .. لكن الحطاب كان رجلًا من نيوانجلند كالعادة ، وكان له افتتان غريب بأكلة لحوم البشر !

قال الرجل بصوت خشن :

ـ « هل تريد بعض النبيذ ؟ »

قلت بصوت راجف :

ـ « لا .. »

« هل تريد شريحة لحم ؟ »

قلت بصوت مذعور :

ـ « لا .. »

ـ « هل تعمل مع هؤلاء الغجر ؟ »

الغجر على الأرجح معناها (الغجر) . فعلاً . ليست سبة ...

قلت باسمًا :

ـ « لا .. »

ثم نهضت فى تهذيب .. أرغب فى الانصراف حالاً لأننى أخذت من وقته أكثر من اللازم .. أشكره على حفاوته بى وكل ما أكلته وشربته فى بيته .. كمية قرى ـ بكسر القاف ـ مرعبة وعظيمة جدًا ..

اتجهت للباب مذعورًا .. ما أشد الحر هنا !... ويا للدخان !.. ما الطعام الذى يأكله هذا الرجل ؟.. يجب أن أهرب ...

والغريب أنه لم يتحرك .. ظل جالسًا يتأملنى فى صمت كأننى أكبر مخبول قابله فى حياته ..

* * *

مشيت فى الغابة وأنا أنظر للكوخ البعيد .. هذا مكان غريب ..

لا أعرف المقصود من هذا ولا لماذا وجدت نفسى هنا .. لابد أن كابوسًا ينتظرنى ..

حسب ما أتصوره ، فإن هناك لعنة ما فى هذا الكتاب .. كتاب الأطفال الذى كان الصبى يقضى الساعات معه . هذه اللعنة حملتنى إلى عالم افتراضى لا أعرف ما هو ولا كنهه ولا كيفية الخروج منه . لكنى لم أفهم بعد أبعاد اللعنة ..

هنا فوجئت بمنظر يشع على الأرض..

كانت هناك جثتا قطين ممزقتان وسط الأعشاب .. دم وفراء متناثر .. ميتة شنيعة بحق .. لكنى على الأقل أعرف أن هذا ليس بفعل فاعل .. القطان مزقا بعضهما ..

وقفت أرقب المشهد بعض الوقت ثم بدأت أبتعد ..

هنا سمعت من يصيح بى ..

نظرت للخلف فرأيت ذلك الفتى الغجرى . إنه شاب أسمر فارع القامة وسيم مكتنز بالعضلات ، وقد ربط رأسه بعصابة رقطاء وتدلى قرط من أذنه .. كأنه كان ينفذ موديل (الغجر) كما فى الكتاب حرفيًا ..

كان يتكلم بلهجة غريبة :

ـ « سيد .. سيد ... أنت طبيب ؟ »

كأن السماعة تتدلى من أذنى ، أو أننى أمشى حاملاً محقناً .. يبدو أن لى منظر الحكماء فعلاً ..

قال وقد رأى دهشتى :

ـ « الأم (ماريانا) تنبأت بقدوم طبيب .. »

إذن هناك أم ماريانا ، وبالطبع هى عرافة لا شك فى هذا .. أما الاسم فيشى بشرق أوروبا أو إيطاليا كما هو واضح .. أنت تعـرف الفـارق بين رنين (مريم) و(مارى) و(ماريا) و(ماريانا) و(ماريكا) ..

ـ « هل من مشكلة ما ؟ »

لا أتوقع أن أحـد هؤلاء القـوم يريد أن يجرى تحليل نخاع دموى .. هناك كارثة فى مكان ما ..

قال الرجل وهو ينزع قبعته :

ـ « لدينا فتاة .. فتاة سقيمة .. »

ـ « هل مخيمكم قريب ؟ »

ـ « خلف هذه الأشجار .. »

وهكذا مشيت معه وأنا أتساءل عما سأراه هناك ..

ما رأيته كان يناسب تصوراتى فعلاً ..

هناك عربات واقفة .. عربات تجرها خيول .. هناك دب مكمم يقف على قائمتيه الخلفيتين ، وجواره مشعوذ .. هناك شاب كثيف الشاربين يعزف كماناً صغيراً وهناك مجموعة من الفتيات ذوات الشعر الغجرى يرقصن حافيات وفى يد كل واحدة دف ... هناك رجل ضخم يقذف ناراً من فمه .. هناك مهرج ملطخ بالأصباغ ...

هناك خيمة من المؤكد أن عرافتهم فيها .. باختصار .. غجر جداً .. توقع فى أى لحظة أن ترى لوخ زوبار ورادا بطلى قصة ماكسيم جوركى التى نسيت اسمها(*)..

توقف الجميع لدى رؤيتى وبدا الشك فى العيون .. من هذا الأصلع النحيل ؟

(*) اسم القصة ماكار تشودرا يا د. رفعت .. لحسن حظك أن المؤلف ذاكرته أقوى من ذاكرتك ، وهناك فيلم سوفييتى رائع عنها اسمه (مخيم الغجر يرحل إلى السماء) .

ـ 2 ـ

أفسحوا لى الطريق ، بينما الرجل يقول للمتسائلين :

ـ « هذا طبيب .. طبيب .. »

وهناك كانت تلك العربة التى يجرها حصان .. سلم خشبى عسير لابد من أن أصعده . تبًا !.. إن قلبى لا يتحمل هذا .. لكنى صعدت على كل حال ، وفى الداخل كان هناك قش ورائحة كريهة وشمعة من الطراز الذى يسقط ليحرق العربة بمن فيها ، وكانت هناك فتاة شقراء لشعرها لون ورائحة الكتان ترقد على الأرضية الخشبية ..

جميلة لا شك فى هـذا .. لكنها فعلت كل شىء ممكن حتى لا تكون كذلك ..

كانت تنظر لى بعينين زائغتين ، فجثوت جوارها وتحسست نبضها .. لا يبدو أنها تموت .. أعتقد أنه لا توجد مشاكل معينة .. فقط كانت ساخنة جدًا ..

ـ « ما اسمك أيتها الحسناء ؟ »

قالت بصوت مبحوح :

ـ « أولجا .. »

أولجا فى السابعة عشرة من عمرها تقريبًا .. أعتقد أنها تعانى احتقانًا فى الحلق .. يمكن أن أتحسس عقدها اللمفاوية بسهولة فى العنق .. هذا التهاب بسيط فى الحلق أو هو داء السراجة .. لا يهم .. المهم أنها لابد أن تلقى عناية أفضل ..

قلت للرجل :

ـ « هل لديكم مضادات حيوية ؟ »

لم يبد أنه فهم وهذه مشكلة هذه القصة .. بعيدة جدًا أو قديمة جدًا .. أنا قبل عصر المضادات الحيوية أو فى مكان بعيد عن المضادات الحيوية ..

من مكان ما برزت تلك العجوز ذات الأنف المحدب وعصابة الرأس والشعر المنكوش والأسنان الناقصة .. ساحرة أو عرافة .. لكنها تؤمن بالعلم كما يبدو .. لماذا لم ترغمها على ابتلاع ضفدعة ؟

قالت العجوز وهى تلهث :

ــ « لقد جربنا الأعشاب دون جدوى .. لهذا قلت إنه لابد من طبيب .. »

بالفعل ساحرة مثقفة ..

سألتهم وأنا أجلس جوار الفتاة :

ــ « أين أبواها ؟ »

قال الرجل الذى استدعانى :

ــ « زوج أمها يسكن عند التل .. إنه (بوريس) الشيخ .. ليست ابنتنا .. فقط وجدناها ملقاة جوار المعسكر فاقدة الوعى»

فهمت .. إذن الشيخ ضيق الخلق هو زوج أم هذه الحسناء وهذا يبرر اللمسة الأنثوية التى شعرت بها فى الكوخ ..

قلت لهم إننى أرجوهم أن يتركونا معًا .. نظروا لى بشك ثم بدءوا ينسحبون ..

لما تيقنت أننى وحدى سألت الفتاة :

ــ « هل تجدين فى نفسك القوة للعودة لزوج أمك ؟ »

قالت وهى تبلل شفتيها بلسانها :

ــ « سوف يعاقبنى .. كانت أمى تقول لى ألا ألعب مع الغجر فى الغابة .. كانت تؤمن أنهم سحرة ولصوص ويخطفون الأطفال ثم يضمونهم للمعسكر .. »

كان كلامها معقـولاً .. فى قريتى بالشرقيـة ــ وكنت فى السابعة من عمرى ــ جاء الغجر وأقاموا لمدة شهر ، وتأخرت ذات ليلة لأننى كنـت أتسلى بمراقبتهم .. عنـدما عدت للدار علقتنى أمى من السقف مكبلاً بحبل وأوسعتنى ضربًا على ردفى .. سبب هذه القسوة هو أنها خافت على مما هو أفظع .. كل الناس يخشون الغجر ..

سألتها :

ــ « ولماذا لم يعدك الغجر لزوج أمك ؟ »

ــ « يقسم أنه سيطلق عليهم الرصاص لو رآهم .. »

ــ « وأين أمك ؟ »

ظهرت الدموع فى عينيها وقالت :

ــ « اختفت ... زوج أمى يؤمن أن الغجـر خطفوها لكنـه لا يستطيع أن يثبت هذا ، لهذا يشرب الخمر بلا توقف ويتشاجر طيلة اليوم .. أنا جئت هنا بحثًا عن أمى .. »

ـ « لكنك كنت تلعبين معهم فيما مضى .. »

ـ « نعم .. »

ساعدتها على الجلوس .. وضممت العباءة عليها .

برزت للغجر واقفاً فى مؤخرة العربة ، فصحت منادياً الفتى الذى جاء بى :

ـ « الفتــاة يجب أن تعــود لزوج أمهــا .. ربما استطاع علاجها .. »

قالت العجوز الساحرة :

ـ « هذا لن يكون .. الفتاة ناضجة وحسناء والرجل المسن سكير قذر .. من يضمن لنا ألا ينتهكها ؟.. زوجته الأولى طلبت الطلاق والثانية لم تتحمل واختفت .. »

يا سلام ؟.. وماذا عن مبيت الفتاة فى مخيم للغجر ؟.. هل هذا حل أخلاقى ممتاز ؟.. وإن كنت بصراحة لست مستريحاً كذلك لوجودها مع هذا الرجل ضيق الخلق . صارحت العجوز بهذا فقالت :

ـ « سوف أزوجها من ابنى (أستبان) ... سوف يحميها ويرعاها .. »

وهنا أدركت أن أستبان هو الرجل الذى جاء بى للمعسكر ..

لكننى كنت مصراً على رأيى .. فلتعد الفتاة للبيت وليأخذها الفتى من بيتها كأى عروس .. هذا هو ما أفهمه .. أما أساليب الاختطاف لدى الغجر فلا تريحنى كثيراً ..

استغرق الأمر كثيراً ، وفى النهاية وجدت نفسى أغادر المعسكر وجوارى فرس يقوده (أستبان) وقد جلست الفتاة أمامه والتفت بحرام ... كانت مرهقة ترفع رأسها بصعوبة ..

لم تكن الرحلة إلى الكوخ طويلة .. ولا أعرف لماذا كلما تحركت فى اتجاه وجدت أمامى جثتى القطين المتصارعين كأنهما فى كل مكان ..

طبعاً ترجل الفتى وساعد الفتاة على أن تتوكأ علىّ ثم ابتعد بجواده . لم يكن راغباً فى أن يرى الشيخ الفتاة معه ..

ساعدتها على الاقتراب من الكوخ وسط الأوحال التى سببها الخرطوم .. ثم دققت الباب الخشبى ..

انفتح الباب ورأيت الرجل الفظ (بوريس) .. كان ثملاً تمامًا والدخان يملأ المكان .. فلما رآنا بدت فى عينيه نظرة شيطانية نارية قاتلة وصاح :

ــ « أين كانت هذه الــ .....؟ »

إذن سوف يفتك بها .. طبعًا لن أسمح بهذا .. والنتيجة طبعًا ستكون تمزيقى أنا لأننى أضعف منه بمراحل .. قلت وأنا أساعدها على الدخول :

ــ « الغجر أنقذوها .. وجدوها فاقدة الوعى .. إنها محمومة .. »

وفى الداخل كان هناك مقعد فوضعتها عليه وأنا أسعل ..

سمعت صوت الحزام .. الرجل يفك الحزام الذى يلبسه وعيناه تشعان نارًا ، وقال :

ــ « هذه الــ ..... منعتها من الذهاب للغجر .. الغجر الذين أخذوا أمها .. سوف أربيها جيدًا مثلما ربيت أمها .. »

كانت الفتاة ترتجف كورقة .. هذا ما أثار رعبى .. ليست غاضبة ولا تنوى أن تظهر ذرة كرامة واحدة أو تحتج .. ستتلقى الضربات كالمرتبة المتسخة فحسب ..

قلت له :

ــ « الفتاة سقيمة وسوف تقتلها .. لو أردت أن تضربها فلتفعل ذلك معى كذلك ! »

لكنه كان عمليًا جدًا فقد رفع الحزام وهتف وكرشه يهتز :

ــ « هذا جميل .. سوف أفعل ذلك بالتأكيد .. »

هنا مددت يدى وانتزعت الحزام عنوة .. لا أعرف كيف تخلى عنه بهذه البساطة لكننى وجدت الحزام فى يدى .. لففته حول ساعدى وجذبت مقعدًا جلست عليه وأنا أرتجف ..

قال الرجل وهو يلهث بطريقة السكارى المعروفة :

ــ « بينى وبينك .. أنت تبدو رجلاً شريفًا .. »

ثم جذب مقعدًا ثالثًا فجلس إلى المنضدة وراح يغمغم :

ــ « اللعنة على النساء .. اللعنــة على الغجر .. اللعنة على القطط .. اللعنة على كل شىء !! »

ثم صب لنفسه المزيد من الشراب .. نهض وهو يترنح إلى الموقد فى ركن الغرفة ، فتناول طبقًا .. سمعته يصب شيئًا ثم عاد لى ووضع الطبق أمامى .. ومعه ملعقة وقال :

ـ « اغفر لى .. إن الخمر تذهب بصوابى .. فهمت أنك لا تشرب الخمر لذا أعددت لك بعض حساء الطماطم .. هلم .. اشرب .. »

حساء طماطم ؟.. لا أريد .. لكن ..

احمرت عيناه وخداه من جديد وضرب المنضدة بالسكين وهتف :

ـ « أنت مصمم على أن تعادينى ! »

لا يا سيدى .. لا أريد معاداة أحد .. لكن من فضلك خفف النار قليلاً فالحر شديد والدخان كثيف هنا .. سوف أشرب .. الحقيقة أن هذا الحساء ليس كريهًا ..

لما انتهيت من الحساء رحت أصغى لصوت الأزيز من صدره .. ثم قلت :

ـ « لا أعرف إن كان بوسعك جلب بعض المضادات الحيوية للفتاة .. لو لم تستطع فعلينا أن ننقلها لأقرب مصحة .. هناك كذلك من يرغب فى أن يطلب يدها .. شاب من شباب الغجر يدعى أستبان .. أعتقد أنك تشتهى الخلاص منها .. ألا ترى ذلك ...؟ »

كنت أتكلم وأنا أشعر أن هناك شيئًا ليس على ما يرام .. الغرفة تعلو وتهبط بى ..

ثمة .. شىء ... خطأ ..

الدخان يزداد كثافة .. صدرى ضيق .. هذه المدخنة مسدودة .. أقسم على هذا ..

رأيته ينظر لى بحاجبيه الكثين كذئب تحت أجمة وقال :

ـ « أنت أحمق مرتين .. لا أعرف لماذا يصير الناس أقل حكمة فى كل مرة ؟.. أولاً أنت غادرت دارى فى الوقت المناسب فعلاً .. ثانيًا رفضت شرب أو أكل أى شىء .. لماذا عدت لترتكب هذين الخطأين ؟ »

قلت له :

ـ « لا .. لا أفهم .. »

نظر للفتاة التى كانت شبه غائبة عن الوعى وقال :

– « لم تكن تريد العودة بحال .. فهى تعرف حقيقتى .. لكنك عدتها وعدت أنت كذلك .. سوف أنهى كل شىء قبل أن تفيق ى .. »

وسمعته يسن السكين من وراء ظهرى .. وعندما ظهر فى جال بصرى أخيرًا كان يحمل أكبر سكين رأيتها فى حياتى .. وكان ينظر لى من تحت الدغل الكث فى حاجبيه ....

تمـــت

فى هذه القصة كان هناك إيحاء قوى بأغنيـة أطفـال غربية .. هـل تعرفها ؟.. لاحظ أنها أغنية محورية للقصة .. ابحث عنها بدقة في كتيب أغاني المهد في نهـاية هـذا الكتـاب ، وتذكـر أن الإجـابة ليست مباشرة كما تتصور !.. دون رقم الأغنية واحتفظ به ...

القصة الثانية

بيت غريب

ـ 1 ـ

لم أحب الانتقال من هذا الكابوس .. أعنى أننى رغبت فى الفرار جدًا لكننى لم أحب الطريقة التى تم بها .

وعرفت أننى ما زلت أسير خيال هذا الطفل المريض ، وما زال علىّ أن أخوض القصص التى حلم بها بطريقته ..

* * *

قال (سامح) وهو ينظر لعداد البنزين فى السيارة :

ـ « يبدو أن هناك مشكلة حقيقية .. الوقود قد نفد .. »

شعرت بغيظ ... لماذا يصر الناس على أن يكونوا بلهاء أو أغبياء أو شاردى الذهن ؟.. من حقهم عمل ذلك لكن بعيدًا عنى ..

كان اليوم باردًا والغيوم تكلل السماء منذرة بهطول المطر .. وتصادف كذلك أن اليوم كان يوافق رأس السنة الهجرية ، ولذا لزم معظم الناس بيوتهم .. أمى يرحمها الله كانت تصر على خبز الفطيـر فى هـذا اليـوم حتى تبـدأ السنة الهجرية بالفطير كما تقول !...

الخلاصة إن الطريق الصحراوى كان شبه مقفر .. دعك من أنه فى تلك الأيام كان مقفرًا فعلاً .. ربع عدد الكافتيريات وربع عدد محطات البنزين وطبعًا عدد مراكز الإغاثة كان وما زال صفرًا ..

قلت لسامح إننى أريد قتله ..

لنحمد الله على أننا لسنا فى الصحراء .. على الأقل سيكون أسوأ ما يحدث هو انتظار ممل طويل .

عيناى على عداد الوقود .. توتر شديد ...

أكره هذه المواقف ، ولم يكن الهاتف الجوال قد اخترع بعد لنكتشف أنه لا يعمل ونضرب رءوسنا فى الصخر .. لا لم يكن هناك جوال ..

لقد انتهى الوقود ..

السيارة تواصل طريقها بالقصور الذاتى قليلاً وفى النهاية تتوقف على جانب الطريق ..

أنت عبقرى يا سامح ..

* * *

الظلام يقترب ..

من الواضح أننا سننتظر طويلاً فعلاً...

نزلنا من السيارة فشعرنا بأن البرد يقتلنا .. صقيع ... هكذا عدنا للسيارة من جديد وأغلقناها علينا .. سامح راح يدخن فى نهم على أساس أن الدخان يجلب بعض الدفء !

مرت بنا سيارتان لكنهما لم تتوقفا .. يبدو أن شكلنا مريب فعلاً ..

فى النهاية قال سامح وهو يشير إلى بعيد :

ـ « هناك خلف هذه الهضبة الصغيرة .. هنـاك جوار برج الضغط العالى .. هناك بيت .. »

رحت أحاول النظر إلى ما يشير إليه لكنى فشلت ..

ـ « أنا متأكد مما أقول .. »

ثم إنه فتح الباب وطلب منى أن أنتظر ... سوف يذهب هناك ويتصل طالبًا مساعدة صديق . سيصل لنا الصديق مع سيارة وبعض الوقود ..

ـ « يا سلام .. ولماذا لا أذهب أنا ؟ »

— « لأن صحتك متداعية ومن الوارد أن تموت فى منتصف المسافة .. ثم إنك لا تملك أصدقاء .. »

بدا لى هذا الكلام معقولاً .. لقد اعتدت المرض على كل حال فلم تعد هذه المعاملة الخاصة تثير حفيظتى .. زمن بعيد قد مر على رفعت الذى كان يعتبر هذه المعاملة الخاصة مهينة لرجولته .. تشعره بأنه طفل أو أنثى واهنة ..

اليوم أقبل هذا ما دمت سأكون مستريحًا دافئًا فى السيارة ..

اذهب يا سامح .. أرجوك .. ولا تتأخر ..

ابتعد سامح بينما أرحت أنا ظهرى جيدًا ورحت فى نوم عميق ..

عميييييييييييييييق !

....

صحوت من النوم شاعرًا بالجوع والإرهاق ..

الظلام دامس من حولى وفى السماء تبدو النجوم بالضبط كما أراد لها الله أن تكون .. يمكنك أن ترسمها أفضل من جاليليو نفسه ..

أين سامح ؟

وشعرت بقلبى يغوص فى قدمى .. كـم السـاعة الآن ؟.. منتصف الليل !.. غريب هذا .. لعله عاد وتصرف بغباء كالعادة .. كل الناس تتصرف بغباء معى .. لعله فضل ألا يوقظنى إلا عند وصول النجدة ..

فتحت باب السيارة فكاد البرد يقتلنى فعلاً ..

مستحيل أن ... أن .. أسنانى تصطك بشدة .. لا أستطيع استكمال عبارة ..

كان برج الضغط العالى الذى تحدث عنه هناك ، وكان هناك بيت بجواره .. وكان هناك ضوء فى البيت .. مسيرة طويلة لا بأس بها لكنها ضرورية ..

وفى لحظات اتخذت قرارى .. سوف أذهب هناك ..

أغلقت السيارة .. وكان قد ترك لى المفاتيح لحسن الحظ . فقط لو عاد أثناء غيابى فلسوف يتجمد حيًا ، لكنى كنت قد أيقنت يقينا أنه لن يعود .. على الأقل الآن ..

بدأت المشى ..

أصعب مشى فى حياتى لأن الظلام كان دامسًا ، وكنت أتعثر بلا توقف ..

بعد قليل سمعت عواء ذئاب فتسرب الهلع إلى نفسى .. أمقت فكرة السير وحدى فى ظلام .. ستكون رحلة مرعبة لكن لابد أن أعرف ما حدث لسامح أولاً ، ولابد أن أجد مأوى ..

رباه .. ليت الصبح يأتى بالسرعة التى يأتى بها عندما يكون عندك امتحان فى الغد !

* * *

أنا الآن خارج البيت ..

إنه بيت صغير الحجم من طابقين ..

هناك إضاءة خافتة وأنا لا أحبها كثيرًا .. ليت الظلام كان أكثر كثافة ..

رحت أدور حول البيت محاولاً تخيل مصير سامح .. على كل حال يوجد جرس فى الطابق الأول ويمكن أن أقرعه بمجرد أن أتأكد من أن المكان آمن ..

هذا الوطواط السمج ...

هناك أكثر من وطواط يدور حولى بلا توقف .. أميز طريقته فى الطيران .. لا يوجد شىء فى العالم يطير بهذه الطريقة أبدًا ..

أخشى أن يصدم رأسى ... أعرف أن جهاز الرادار لديه لا يخطئ ، لكن ماذا لو كان الرادار معطلاً ؟.. ألا يحدث هذا حتى مع جيش الولايات المتحدة ؟.. فماذا عن وطواط بائس كهذا ؟

ابتعد أيها السخيف ..

أدق الجرس مرة .. مرتين ..

لا أحد يرد ..

وهنا كأننى أعطيت إشارة البدء بدأ المطر ينهمر ....

فى النهاية أكتشف أن الباب غير موصد .. يمكن أن أفتحه بدفعة بسيطة ..

أنا فى الداخل .. ظلام دامس لكنى فى الداخل ...

أغلقت الباب خلفى .. لا أحب القادمين من الخلف فجأة ...

ابتعد أيها الوطواط القذر .. سوف تأتى الفئران حالاً فلا وقت لدى أضيعه معك ..

هنا سمعت صوتًا جمد الدم فى عروقى : كلوك .. كلوك كلوك !

— 2 —

لما عاد قلبى يخفق بشكل معقول ولما أشعلت عود ثقاب رأيت فى الضوء المتراقص مصدر هذا الصوت ..

دجاجة سوداء تهرع مذعورة مبتعدة ..

هناك كومة من القش فى ركن المكان وهناك عدة بيضات .. مشهد طبيعى أراحنى نوعًا . ماذا يقول البريطانيون فى أغنية الأطفال ؟ (هيكتى بيكتى) دجاجتى السوداء .. تبيض البيض للسادة .. بالفعل يخيل لى أن الدجاجة تقول (هيكتى بيكتى) ..

دجاجة سوداء .. لماذا يربى أحد دجاجة سوداء هنا ؟

رحت أشق طريقى وسط الظلام وأنا أردد (يا أهل الله) .. لقد احتشد الأدرينالين فى دمى جدًّا حتى أنه لو رد أحد لتوقف قلبى ..

صوت الأمطار بالخارج ..

أشعر بالبرد والدم متجمدًا فى عروقى ..

لا أحب هذه الرائحة كثيرًا ..

— « يا أهل الله ! »

ثم صفقت مرتين ..

هناك درجات تقود لطابق علـوى .. هـل أصعد فيها ؟.. إن جرأتى قد تعدت الحد ، وهذا فى النهاية بيت له حرمة .. بيت ليس بيتى .. من الناحية الأدبية أنا متلصص ومن الناحية القانونية أنا لص .. على الأقل أنا استأذنت من الناحية الدينية ..

هل أنام هنا إذن ؟

كنت أفكر بينما قدماى تصعدان فى الدرج حتى بلغت الباب المفتوح .

دخلت لأجد قاعة كبيرة متسعة بها أنتريهات عتيقة .. نحو ثلاثة منها . متناثرة فى كل ركن . عندما كانوا يفصلون أثوابًا للانتريهات لتحميها ..

هناك مصباح يتدلى من السقف يرسل أشعة واهنة هى التى رأيتها عبر خصاص النافذة . كانت أمى تطلق على هذا النوع من الإضاءة الواهنة التى تتعب العينين (لمبة حرامية) ، باعتبار أن اللصوص لا يجلسون أبدًا يحتسون الخمر ويقسمون الغنائم إلا فى إضاءة كهذه !

هناك مائدة فى وسط المكان .. هناك مقاعد عتيقة تذكرك بمقاعد فان جوخ الخشبية إياها ..

فجأة سمعت من يصيح :

ـ « **من أنت** ؟ »

للحظة أفلت قلبى ست عشرة ضربة ، وكدت أفقد الوعى .. فلما تمالكت نفسى فى النهاية استدرت لأرى سيدة مسنة تمسك بشاطور كبير ..

كانت فى وضع دفاع عن النفس .. كانت خائفة لا مخيفة لو فهمت ما أعنيه ..

صحت ملوحًا بيدى :

ـ « لا تخافى .. أنا عابر سبيل .. تعطلت سيارتى لا أكثر .. »

صدقتنى بسهولة لم أتوقعها ..

قالت لى وهى تنظر فى فضول :

ـ « يا لك من مسكين .. المطر ينهمر بغزارة فى الخارج لكنك لم تتبلل لحسن الحظ .. »

ثم جذبت لى مقعدًا أجلستنى عليه ..

ـ « هل أنت بخير ؟.. سأجلب لك بعض الشاى .. »

قلت مرتبكًا :

ـ « الحقيقة أننى فقدت صديقى .. جاء هنا منذ ساعات ليطلب العون ثم لا أعرف عنه أى شىء .. »

ـ « مسكين .. »

قالتها وانصرفت لتعد الشاى بينما جلست أنا أرمق الغرفة .. الجدران العارية .. الستائر العتيقة .. هذا المكان يشبه الكابوس ..

بعد قليل عادت ومعها صحفة عليها كوب شاى يتصاعد البخار منه وبعض الشطائر .. كريمة فعلاً ما لم يحتو الشاى على مخدر أو سم طبعًا ..

ماذا فى هذه الشطائر ؟.. فول بزيت السيرج (الطحينة) .. لذيذة فعلاً .. رحت ألتهم فى جشع لأننى لم أذق الزاد منذ النهار ..

كان الأمر كله يبدو مألوفًا .. أنا منحوس وقد لجأت لبيت الغول كما يحدث فى القصص الشعبية .. وكما فى القصص

تغيثنى الزوجة الطيبة وتخفينى فى البيت إلى أن يصل الغول فيشم رائحتى ويبحث فى كل مكان .. ثم يعدها بألا يأكلنى لكنه ينهض فى الليل ليفعل ذلك ..

كل هذا جميل فيما عدا أننى لا أعتقد أنه سيحدث .

هذا يثير السخرية .. أى واحد غيرى سيقول لك فى شجاعة إنه لا توجد غيلان ، أما أنا فقد صرت أصدق كل شىء وأتوقع أى شىء ..

جلست ألتهم الطعام على حين التفت العجوز بشال من التريكو وجلست أمامى .. آه .. إنها من العجائز اللاتى ينظرن لك طويلاً عندما لا تنظر نحوهن .. هذا مريب فعلاً ..

ــ « أنت إذن مهندس ؟ »

من قال هذا ؟.. قلت بفم مليء بالطعام :

ــ « أنا طبيب .. »

هنا كشفت عن طباع عادية جدًا ومطمئنة ، عندما قالت لى :

ــ « آلام الخاصرة .. ما هو سبب آلام الخاصرة يا دكتور ؟ »

تنفست الصعداء .. هى امرأة مسنة كأى امرأة أخرى إذن ... ودار الحديث طويلاً حتى تحولت إلى نسخة حيـة مـن مجلة (طبيبك الخاص) ..

فى النهاية سألتها عن صديقى ..

لحظة .. هل هذه المرأة قالت (مسكين) قبل أن تعد الشاى ؟.. ماذا تعنيه ؟.. أين سامح وماذا دهاه بالضبط ؟

قالت المرأة :

ــ « لابد أن صـاحبك دق البـاب مرارًا ثم يئس .. لم يفعل مثلك .. »

شربت الشاى وفى ذهنى عشرات القصص المخيفة .. فى قصة لروآلد دال كانت المرأة تؤجر بيتها كبنسيون ، وكانت (تصبر) الزوار للذكرى ..

سألتها :

ــ « كدت أدوس تلك الدجاجة فى مدخل الدار .. »

ــ « آه .. إنها تجعلنا لا نشترى البيض .. »

ازداد المطر وراح يضرب النوافـذ فى توحش .. يا لهـا من ليلة !!

قلت لها من جديد :

ـ « هناك وطاويط كثيرة .. »

ـ « المنطقة معزولة وهناك برج حمام فارغ فوق البيت .. »

الوطاويط التى تعتبر نفسها حمامًا ظريفة جدًا بالتأكيد .. على أن الشاى ينعش حواسى فعلاً ولا يبدو أن فيه مخدرًا .. ربع ساعة وما زلت مفيقًا باستثناء أن الدفء يخدر عقلى ..

هنا دوت طرقات من تحت .. طرقات جعلت البيت يرتج ..

وسمعت صوتًا يصيح :

ـ « **حكمت !.. من أوصد الباب ؟؟** »

كان صوتًا غليظًا مخيفًا ..

ورأيت المرأة مرتبكة ترتجف ..

يبدو أن الأمر كذلك .. لو لم يكن هذا صوت غول فكيف يبدو صوت الغيلان ؟..

بالفعل هتفت المرأة فى رعب :

ـ « زوجى ..!.. لقد كان بالخارج ولابد أنه غاضب وجائع .. أنصحك بالفرار يا سيدى .. غادر البيت ولا تعد أبدًا ! »

ـ « هل تمزحين ؟ »

بالفعل هى تعيد قصص الأطفال حرفيًا ..

المرأة لا تمزح .. تقودنى إلى سلم آخر فى نهاية القاعة .. تهمس بى :

ـ « لا أنصحك بأن تلقاه .. لقد قابل صاحبك وكان ... لا داعى لذكر ما حدث !... أرجو أن تهبط فى هذا الدرج .. ستجد بابًا موصدًا . افتحه .. سوف تجد نفسك فى فلاة خلفية . حاول أن تدور حول البيت لتجد الباب الذى دخلت منه .. أسرع ! »

دوى الصوت من جديد :

ـ « **حكمت !.. أمرت بألا تغلقى هذا الباب ما دمت بالخارج !...** »

نظرت إلى الصحفة التى كان عليها طعامى وقلت :

ـ « لحظة .. هذا دليل قوى على وجود ضيوف .. »

ــ « لا .. أنا أيضًا أجوع وآكل .. وطعامى يختلف عما يأكله هو !.. هلم واسرع ! »

كان هذا كافيًا .. رحت أهبط فى الدرج المظلم بينما وطاويط أخرى تحلق حولى وتوشك على الاصطدام برأسى ..

ومن الجهة الأخرى من الدار سمعت المرأة تهبط فى الدرج .. صوت فتح باب .. صوت سباب ...

مددت يدى الراجفة وأزحت المزلاج ..

الهواء البارد يهب على ..

ظلام دامس فى الخارج والامطار تنهمر بلا توقف ..

مشيت خطوتين .. ثلاث خطوات .. سوف يكون اجتياز هذه الفلاة عسيرًا فعلاً خاصة مع كل دلاء الماء التى تنهمر فوق رأسى .. كل من يلبس عوينات يعرف أن معنى هذا هو العمى كذلك لأنك مضطر لنزعها ..

مشيت .. ترى متى يقرر الزوج أن رجلاً غريبًا كان هنا ؟.. ومتى يقرر أنه خرج من الباب الخلفى ؟

هل يطاردنى بالشاطور أم لديه بندقية خرطوش ؟

فجأة شعرت بالأرض تتهاوى تحت قدمى ..

هذه حفرة مليئة بالماء كأنها خندق .. لم أر ذلك فى الظلام وسقطت فيها .. الماء عند صدرى .. صبرًا .. سوف أخرج من هنا ..

لكن الحفرة كانت مليئة بالوحل .. قدمى تنزلق ولا أجد موضعًا أقف عليه ..

إننى أغوص .. هذا مستحيل .. لن تكون هذه النهاية ..

أغوووووص ..

تمــــت

فى هذه القصة كان هناك إيحاء قوى بأغنية أطفال غربيـة .. هـل تعرفها ؟.. لاحظ أنها أغنية محورية للقصـة .. ابحث عنها بدقـة فى كتيب أغـانى المهـد فى نهاية هذا الكتاب ، وتذكر أن الإجابة ليست مباشرة كما تتصور !.. دون رقم الأغنية واحتفظ به ...

القصة الثالثة

شذى تراقب

— 1 —

إقامتى عند محمد داوود لم تكن سارة جدًا ..

كان قد اتصل بى وطلب منى أن أمضى بعض أيام عنده لأنه قلق ..

هذه نقطة مهمـــة بالنسبة لواحد مثلى بلا أسرة .. أنا فى متناول اليد .. لولا التهذيب لقالوا إننى (صايع) .. لا زوجة تقلق على ولا أطفال يطالبوننى بالعودة مبكرًا .. باختصار أنا الشخص الوحيد الذى تطلب منه قضاء أيام معك فيقبل ..

لم أجد صعوبة فى طلب إجازة لمدة أسبوع من العمل ، ثم الذهاب للإسكندرية حيث هذا الصديق القديم الذى لم ألقه منذ عقود ..

* * *

أعرف أن هذا كله يحدث نتيجة لقراءة ذلك الكتيب ..

كتيب أغانى الأطفال الذى تركه ذلك الصبى المشئوم ..

لكـن كـل شىء حقيقى .. لقـد حكم علىّ أن أمـوت مرارًا

هذا خطر لى وأنا أنزل حقائبى أمام البيت .. البيت الذى كان جنة منذ أشهر قبل أن يصير كابوسًا حقيقيًا .. فقدان الأم مشكلة فكيف لو كانت ملاكًا رقيقًا مثـل شذى عبد الرازق .. أو ــ على الطريقة الغربية ــ شذى داوود ؟

كان البيت قد تم تشييده بمزاج رائق وعلى مهل شديد ..

لقد رسم محمد كل شىء للمهندس الذى صمم البيت ، وكان يملك إمكانيات تحويل حلمه إلى حقائق.هكذا كانت هناك بناية رئيسة ثم بناية ملحقة .. باختصار يذكرك منظر البناية بحرف L نوعًا أو كما يقول مازحًا : الحذاء ..

هناك حديقة غناء وأرجوحة ومجموعة نادرة من الأزهار .. هذا أجمل حذاء رأيته فى حياتى ..

وفى هذا البيت عاش محمد وزوجته وأطفالهما الثلاثة : عمر ونادر ونرجس ... طبعًا نادر هو الأكبر سنًا .. لابد أنك استنتجت ذلك .. جاءت أم محمد المسنة لتقيم معهم ، ولا أعرف التفاصيل ، لكن يقال إن علاقتها بالزوجة كانت سيئة ...

بالنسبة للتفكير المصرى ، كـان هـذا كل ما يلزم كى تصيب العين صاحبنا (محمـد) . الزوجـة الرقيقة الضاحكة والبنون

والبيت الفاخر .. هذه الزوجة بدأت تعانى نوبات من آلام المعدة والقيء الدمــوى ، ثم توفيت أخيـرًا وقـد عجـز الأطباء عن مساعدتها ..

هكذا يجد (محمد) نفسه أرمل .. مسئولاً عن رعاية أم عجوز وثلاثة أطفال أكبرهم فى الحادية عشرة ..

هذه مشكلة حقيقية ، ولو كان يعيش وحده لتزوج من جديد ، لكنه أيقن أن أمه ستقوم باللازم للأطفال .. كما قلت فى قصة سابقة : لابد من امرأة تعرف هل تكون خياطة ثياب الأطفال للخارج أم الداخل .. أنت تعتقد أنها تكون للداخل وهذا يدل على أنك أحمق مثلى .. الخياطة للخارج حتى لا تحتك بجلد الطفل الناعم وحتى لا تكون مأوى للبراغيث ..

كانت الأم مسنة جدًا .. عصبية جدًا .. و...

لقد حان الوقت كى أدعك تكتشف حياة هذه الأسرة معى ..

رحب بى محمد وقدم لى الأطفال .. إن (نادر) صبى عادى جدًا من طراز (يا كابتن) و(وعهـد الله) .. (عمر) فى الثامنة من عمره مزعج كالشيطان لا يكف عن البحث عن سبيل

للتخريب .. (نرجس) ملاك صغير تشبه أمها وهى فى الخامسة من العمر ..

جلسنا لنأكل على مائدة الطعام ..

وجاءت العجوز لترحب بى .. ليست من الطراز الودود أبدًا ، دعك من تلك الظفرة على عينها مما يجعلها كأنها سحلية مسنة .. وصدقنى لم يكن ملمس يدها فى المصافحة محببًا .. كأنك تمسك سحلية إجوانا فعلاً ..

لم تكن بالطبع هى من يقدم الطعام .. كانت هناك خادمة مسنة لها وجه طيب بشوش . ومنذ اللحظة الأولى أدركت أن صديقى محمد يعانى عقدة الأب الحنون الذى يشفق على أبنائه بقوة .. هذه طريقة مثلى لتربية جيل من السفاحين ومهربى المخدرات واللصوص .. إن الرجل يشعر أنهم مظلومون ويحاول أن يكون أبًا وأمًّا .. النتيجة أنه يتحول إلى جد .. إنه يدللهم بشدة وأكثر من اللازم بكثير ..

ــ « هلم يا نادر .. كل البطاطس .. »

يقول نادر فى وقاحة :

ـ « البطاطس قذرة .. اللعنة عليها ! »

فبدا الأسف على الأب ، ثم سأل عمر بصوت حنون :

ـ « هل ستأكل اللحم ؟ »

نظر له عمر فى عينيه بتحد وقال :

ـ « طلبت منك أن تجلب لى عصفورًا ملونًا .. هل فعلت ؟ »

ـ « نسيت يا بنى .. »

ـ « إذن لن آكل اللحم ! »

ـ « سوف أبتاع لك عصفورًا .. بل سأبتاع لك كلبًا صغيرًا .. »

قالت الطفلة :

ـ « أريد خاتمًا من المجوهرات يا أبى .. »

هنا نفد صبر الجدة العجوز فضربت المنضدة بقبضتها وقالت فى حزم :

ـ « أنت تدلل أطفالك أكثر من اللازم .. هم لا يريدون أن يأكلوا ؟.. إذن لينامو .. الآن ! »

ثم استدارت للأطفال مكررة الأمر بقسوة ..

ـ « ليأخذ كل واحد كسرة خبز .. »

أدركت أن صديقى يمر بأقسى لحظات فى حياته .. يريد أن يكون لينًا وضعيفًا لكنه لا يجرؤ أمام أمه .. ولو أنه عنفها أو طلب منها الرفق لأعلنت أنها غير مسئولة عن الأطفال .. حسن .. تكفل أنت بهم .

كانت قاسية قوية الشخصية لكنها ملاح بارع ليقود السفينة وسط الأعاصير القادمة .. تذكرك جدًا بدور أمينة رزق فى فيلم (بداية ونهاية) ..

لما انتهى العشاء ونهض الجميع ، ولما انصرفت العجوز لغرفتها لتنام ، جلست مع محمد نلتهم الحلوى ونثرثر مع الشاى ..

قال لى :

ـ « أنت تفهم الآن مشكلتى .. أمى بارعة فى قيادة البيت ، لكنها حازمة جدًا وقاسية .. ولا أجرؤ على أن أطلب منها أن تتهاون .. »

قلت فى لا مبالاة :

— « هـل تريد رأيى ؟.. دعها تتول مسئولية الأطفال .. علمتنى التجارب أن أمثالك مسئولون عن خراب الأطفال فى كل زمان ومكان .. دع حكمتها الفطرية تسيطر على الأمور .. دع خبرة السنين تتصرف .. لا مجال للهواة فى هذه اللعبة .. »

لم يبد مقتنعًا لكنه اضطر أن يخرس ..

بعد قليل عدت أسأله :

— « هل طلبت أن أقيم عندك من أجل مشاكلك النفسية مع أمك ؟ »

قال ضاحكًا :

— « لا .. هناك ما هو أعقد .. هناك زوجتى الجالسة فى القمر ! »

— 2 —

الأمور كانت سارة لدرجة لا تصدق ..

عندما اتجه محمد إلى باب الحديقة ففتحها ، وخرجنا هناك معًا .. لم أفهم ما يريد فالطقس لا يغرى بالجلوس فى الخارج على كل حال ... برد ..

كان القمر شبه مكتمل .. فهمت عندها لماذا طلب هذا الموعد . القمر يكتمل بعد يومين . وأرجو ألا يكلمنى عن الشعر الغريب الذى ينمو فى وجـه أمه مع الأنيـاب التى تبرز ليلة الاكتمال القمرى ..

لا .. لم يفعل هذا ..

قال وهو يشير للقمر :

— « يمكنك أن تراها هناك .. ملامحها واضحة تمامًا .. إنها تحملق فينا طيلة الوقت .. شذى الرقيقة الجميلة عطرة الأنفاس والأفكار .. »

رفعت رأسى إلى القمر ونظرت له .. كان هادئنا تقليديًا كالعادة .

ــ « هـل تريد رأيى ؟.. دعها تتول مسئولية الأطفال .. علمتنى التجارب أن أمثالك مسئولون عن خراب الأطفال فى كل زمان ومكان .. دع حكمتها الفطرية تسيطر على الأمور .. دع خبرة السنين تتصرف .. لا مجال للهواة فى هذه اللعبة .. »

لم يبد مقتنعًا لكنه اضطر أن يخرس ..

بعد قليل عدت أسأله :

ــ « هل طلبت أن أقيم عندك من أجل مشاكلك النفسية مع أمك ؟ »

قال ضاحكًا :

ــ « لا .. هناك ما هو أعقد .. هناك زوجتى الجالسة فى القمر ! »

ـ 2 ـ

الأمور كانت سارة لدرجة لا تصدق ..

عندما اتجه محمد إلى باب الحديقة ففتحها ، وخرجنا هناك معًا .. لم أفهم ما يريد فالطقس لا يغرى بالجلوس فى الخارج على كل حال ... برد ..

كان القمر شبه مكتمل .. فهمت عندها لماذا طلب هذا الموعد .. القمر يكتمل بعد يومين . وأرجو ألا يكلمنى عن الشعر الغريب الذى ينمو فى وجـه أمه مع الأنيـاب التى تبرز ليلة الاكتمال القمرى ..

لا .. لم يفعل هذا ..

قال وهو يشير للقمر :

ــ « يمكنك أن تراها هناك .. ملامحها واضحة تمامًا .. إنها تحملق فينا طيلة الوقت .. شذى الرقيقة الجميلة عطرة الأنفاس والأفكار .. »

رفعت رأسى إلى القمر ونظرت له .. كان هادئًا تقليديًّا كالعادة ..

قلت له فى غيظ :

ـ « محمد .. كف عن الهراء .. أنت تعرف أن الناس ترى ملامح رجل على وجـه القمر منـذ وجـد القمر .. وكلما مات شخص شهير زعمـوا أن ملامحـه هنـاك . هذا نموذج ممتاز للـ Pareidolia .. الأشكال التى يفسرها المخ كما يشاء .. »

كان ينظر للقمر كالمجذوبين ويردد :

ـ « بل هى .. بل هى .. وهى كذلك تكلمنى ... »

ـ « هذا جميل .. »

ـ « تقول لى إن هناك من قتلها .. دس لها السم .. »

ـ « ومن الكافر الذى فعل هذا ؟ »

قال كالمجذوب كما كان :

ـ « لهذا جئت بك هنا .. أردت أن تخبرنى بالفاعل .. »

فى حنق قلت :

ـ « ظننت أن القمر يكلمك .. »

ـ « تقول لى كلامًا لا أصدقه .. لهذا صارت حياتى جحيمًا .. »

كنت قد بدأت أعتقد أنه مخبول تمامًا .. يبدو أن فقدان زوجته كان أقسى مما تصورت... لكنى كذلك فهمت ما يرمى له ..

القمر يتهم أمه بأنها دست السم لكنّتها .. الكنّة بكسر الكاف وتشديد النون هى زوجة الابن طبعًا .. والصراع بين الاثنتين عنيف وشرس فى كل عصر وكل زمان .. كأنه صراع فى كهف على رجل القبيلة تحاول امرأتان الظفر به ..

القمر يقول إن العجوز دست السم لشذى .. وبما أن القمر هو شذى فالقصة واضحة . هل توجد أسئلة ؟

قلت له وأنا أقتاده للداخل :

ـ « اسمع .. كل رجل شرطة فى العالم يبحث عن الدافع أولاً .. لا يوجد دافع .. عدم الاستلطاف بين الاثنتين ليس دافعًا وإلا لقتلت أنا كل من قابلتهم فى حياتى .. هلم .. أنت مضطرب نفسيًا وبحاجة للنوم .. »

هز كتفيه ثم اقتادنى إلى غرفة نومى الواقعة فى الطابق الأول ، وتمنى لى نومًا طيبًا ..

لما وجدت نفسى وحدى فتحت النافذة المطلة على الحديقة ورحت أحدق فى القمر .. بالفعـل يمكن أن أتصـور أنه امرأة حسناء هذه الليلة بالذات ..

قلت لشذى بصوت هامس :

ـ « أرجو أن تعذرينى .. لا أستطيع التدخل .. إن معنى هذا أن أفسد علاقته بأمه .. دعك من أننى لا أصدق حرفًا .. »

قالت بصوت يليق بكونها فى القمر :

ـ « لكنك بهذا تهدر دمى .. أنت تعرف أن روحى ستظل قلقة ما لم يأت الانتقام .. سأظل فى القمر للأبد .. »

قلت بصوت أعلى :

ـ « لتختارى شخصًا آخر غيرى .. »

هنا فوجئت بأننى أحدق فى عينى العجوز أم (محمد) !

كانت غرفتى كما قلت لك فى الطابق الأول فى ذات مستوى الحديقة ، لنقل إنها عند بوز الحذاء بالضبط ، وقد مرت المرأة أمامها فرأتنى أنظر للسماء وأتكلم ..

قلت لها مفسرًا :

ـ « آسف .. إننى أنشد الشعر كلما .. كلما ... »

نظرت لى بعينها الميتة ذات الظفرة .. عين السحلية ثم ابتعدت دون كلمة أخرى . وهنا فهمت سبب خروجها .. هناك دورة مياه فى الحديقة غير الدورة بداخل البيت ، ولعل صاحبى كان هناك فاختارت أن تقطع هذه المسافة ..

أغلقت النافذة شاعرًا بالخجل من جنونى .. كنت أكلم القمر فعلاً .. يا لى من أبله ..

وهنا خطرت لى فكرة .. لو كـان محمـد قلقًا فعلاً فلم لا يساعدنى ؟

خرجت من الغرفة سريعًا ..

ركضت عبر الردهة حتى بلغت غرفة محمد وقرعت الباب ..

فتحه مذعورًا فلما رآنى هدأ نوعًا .. فقلت له همسًا :

ـ « أمك فى الحديقة .. لا أعرف كم ستتغيب لكنى راغب فى رؤية غرفتها .. أريد التفتيش .. »

بدا عليه القلق ... ثم أمسك بساعدى وأشار إلى غرفة على بعد أمتار من غرفته وقال :

— « هذه هى .. يمكنك الدخول . ماذا تتوقع أن تجده ؟ »

— « ليس أقل من زجاجة زرنيخ حتى أوافقك على ما تقول من جنون .. »

قال وهو يضم الروب على جسده :

— « سأخرج للحديقة وأمضى عشر دقائق معها نتكلم .. حاول أن تتصرف بسرعة .. »

تركته وهرعت إلى غرفة العجوز وفتحت الباب ..

طبعًا لو عادت واكتشفت وجودى فلن يبذل محمد أى جهد للدفاع عنى . إنه من الطراز الذى يسقط صاحبه فى قبضة الرعاع فيضربه معهم !

هناك فراش غير مرتب — فقد كانت دخلته — وهناك خزانة ثياب مواربة وكومود وجهاز تلفزيون صغير .. فتحت الكومود وبحثت فى الأدراج .. لا شىء ..

هنا استرعى الحمام انتباهى ..

هناك حمام فى الغرفة .. هذا غريب .. إذن لماذا خرجت للحديقة فى هذا البرد ؟.. هذه المرأة مريبة فعلاً أو هى تراقبنى ..

على كل حال صيدلية الحمام هى أفضل موضع يمكن أن تخفى فيه زجاجة سم ..

اتجهت إلى الحمام النظيف عطر الرائحة ورحت أبحث .. هناك رف أدوية فعلاً لكنها أدوية سكر وضغط دم .. لا يصلح أى منها للقتل بهذه الطريقة (ألم بطن وقىء دموى) ..

لاحظت كذلك أن النافذة مغطاة بستار .. لا يمكن إزاحته .. ترى هل هذه الجهة تطل على القمر ؟

على كل حال لقد فتشت الغرفة بعناية .. لم أتوقع أن يكون الأمر سهلاً لكن عجوزًا فى هذه السن لن تحسن إخفاء جريمة قامت بها ..

الآن يجب أن أرحل بسرعة ..

بحذر خرجت من الباب ووقفت أمامه للحظات كأننى كنت أمشى فى الردهة ، ثم أسرعت إلى غرفتى ..

بمجرد أن دخلت تلقيت ضربة على رأسى فلم أشعر بشىء..

* * *

رباه !..

أنا مقيد إلى منضدة ..

كل العالم يترقرق من حولى كأنه نهر .. الأضواء ساطعة ومؤلمة ..

رأسى يؤلمنى بشدة ..

هنا رأيت وجه صديقى محمد ينظر لى من أعلى .. كان يضحك ..

قال لى :

ـ « آسف يا رفعت .. لقد ظفرنا بك .. كنا نريدك هنا .. لكنى لم أكذب بصدد شذى . شذى فى القمر فعلاً وتراقبنا وتمرح .. لقد طلب الأطفال أن يروا تشريح الجسم البشرى كما أخذوه فى المدرسة ، وأنا قد قررت ألا أرفض لهم أى طلب منذ ماتت أمهم .. أنت رأيت بنفسك .. لا أجرؤ على كسر خاطرهم ، لذا طلبت منك

أن تأتى لحل مشكلتى .. الفكرة هنا أنك (مقطوع) من شجرة ولن يفتقدك أحد .. سأقدمك هدية لأسعد أطفالى .. »

تلويت محاولاً الفرار .. مجنون .. كلهم مجانين ..

الأسرة التى يرى أفرادها الأم فى القمر هى أسرة مجانين .. لابد أن صدمة رحيلها هزت الجميع ربما باستثناء أم (محمد) ..

قلت فى عصبية :

ـ « أنت مجنون فعلاً .. »

قال باستمتاع :

ـ « ربما .. كل واحد فينا يملك درجة من الخبال .. لكن أطفالى يحبوننى بهذا الشكل .. »

ـ « وأين أمك فى هذا كله ؟ »

ـ « العجوز نائمة .. دسسنا لها بعض المنوم .. لن توافق على ما سيحدث لأنها أرق قلب هنا .. »

ـ « و .. وزوجتك ؟ »

ـ « ماتت بسرطان المعدة . كنت أكذب عليك .. لكنى لم أكذب عندما قلت إنها فى القمر .. »

والتفت إلى أبنائه :

ــ « افتحوا النوافذ يا أحبابى لتنعم أمكم بالمشهد .. »

وشعرت به يلصـق شريطًا لاصـقًا على فمى فبدأت أمارس الـ مفف والم م على سبيل أداء الواجب .. هذا شنيع .. أعرف أنهم يتصرفون بمنطق الكابوس لا بمنطق الواقع ، وبرغم هذا لا فارق لى .. سأموت فى الحالتين ..

ورفعت عينى إلى النافذة المفتوحة فرأيت القمر ..

كانت شذى هناك تضحك فى توحش !!

فى هذه القصة كان هناك إيحاء قوى بأغنية أطفال غربية .. هل تعرفها ؟.. لاحظ أنها أغنية محورية للقصة .. ابحث عنها بدقة فى كتيب أغاني المهد فى نهاية هذا الكتاب ، وتذكر أن الإجابة ليست مباشرة كما تتصور !.. دون رقم الأغنية واحتفظ به ...

القصة الرابعة

فى زمن الطاعون

— 1 —

ــ « هاتوا موتاكم لى ! »

هكذا يردد سائق العربة التى يجرها حصانان وهو يشق الطريق فى القرية ..

الأبواب كلها مغلقة ... جو من الحر الخانق والتوتر والرعب ..

يمر الحصانان المرهقان بقربى .. أرى الحوذى الذى يشبه تصورنا عن الموت .. ينظر لى بوجهه الحاد القاسى ..

ومن خلفه أرى كومة الأجساد التى بدأت تتعفن فى الحر الشديد ..

هذا الرجل يمارس نفس مهنة جامع القمامة فى زمننا .. فقط هو يتخلص من الجثث التى تزحم البيوت ..

إن الطاعون فى كل مكان ، ولهذا يصير الخلاص من الجثث شيئًا محببًا لأنها تتراكم فى كل لحظة ..

ــ « هاتوا موتاكم لى ! »

وأنا أمشى وحدى فى الشارع المرصوف بالحجارة عالمًا أننى سأصاب بالعدوى آجلاً أم عاجلاً ..

لا أتصور أن لقاح هافكين موجود هنا ، كما لا أتصور أن أجد بعض التتراسيكلين أو الستربتومايسين .. نحن فى عصر قبل المضادات الحيوية

أنظر للسماء فأرى طائرًا يحوم هناك ..

قبل أن هذا يعنى الحظ الحسن .. لكن أى حظ حسن فى بلدة يجتاحها الطاعون ؟

* * *

كانت هناك حفرة عميقة .. نظرت داخلها فرأيت كومة عالية من الجثث .. كومة توشك على الخروج من الحفرة . أطفال .. نساء ... شباب .. شيوخ .. نظرة الموت الخاوية المرعبة والكثير من الدم ...

رأيت صبيًا يقف هناك وهو يحمل برميلاً صغيرًا يسكب ما فيه فى الحفرة ، وظهر رجل آخر يفعل نفس الشىء ..

ثم ألقى أحدهم بمشعل فى الحفرة فارتفعت النار لعنان السماء .. ورأيت الجثث تتحول إلى فحم وقد بدأت تتقلص فبدت للحظات كأنها حية تستغيث ..

ورأيت مجموعة من الأطفال .. ثلاث فتيات وولدين .. وقفوا يراقبون المشهد .. هم طبعًا لا يفهمون المأساة ولا أبعادها .. الأمر مسل فقط بالنسبة لهم ..

ثم إذا بهم يشبكون الأيادى ــ على بعد خطوات من الحفرة ــ ويبدءون الرقص ..

كانوا يغنون ثم يتوقفون ويشيرون لأجزاء فى أجسادهم . ثم يواصلون الدوران ..

•

« دائرة حول الورود ..

جيب ملىء بالأزهار ..

رماد .. رماد ..

فلنسقط جميعًا للأرض .. »

عندما قالوا العبارة الأخيرة تركوا أيدى بعضهم ثم سقطوا على الأرض جالسين .. واحدة تأخرت فراحوا يضحكون .. واضح أنها خسرت ..

يبدو أن هذه هى النسخة البريطانية من (افتحى يا وردة ... اقفلى يا وردة) التى كنا نلعبها فى طفولتنا ..

نظرت للخلف .. إلى الحفرة الرهيبة .. الدخان المتصاعد .. رماد .. رماد .

هنا تجمد الدم فى عروقى .. لقد قرأت شيئًا عن هذا من قبل .. هذه الأغنية كانت تصف ما يحدث أثناء وباء الطاعون فعلاً .. ثم نسى الناس هذا الارتباط المخيف وما زالوا يغنونها حتى اليوم ..

جيب ملىء بالأزهار .. هو العقد اللمفاوية المتكونة عند خن الفخذ ..

دائرة حول الورود .. اللون الأحمر المميز للالتهاب ..

ثم رماد .. رماد .. يتم حرق الجثث ونسقط جميعًا على الأرض ..

شعرت بالرعب وبأن حلقى جاف .. يجب أن أبتعد ...

تبًّا لك أيهـــا الصبى اللعيـــن (ويليام) .. كل ما أنا فيه وما سوف أراه بسببك أنت .. بسبب خيالك المريض وكتاب الأغانى اللعين الذى كنت تقرأ فيه كل ليلة .. صحيح أن هناك

جدلاً حول هذه النقطة ، وبعض الباحثين يرون ألا علاقة بين الأغنية والطاعون ، لكن كلمات الأغنية مريبة بالتأكيد ..

هناك رجل معقوف الأنف يحمل كيسًا مليئًا بشىء رهيب .. عندما دققت عرفت أنه ملىء بذيول الفئران !... إنه يهودى بالتأكيد .. فى هذا العصر الملىء بمعاداة السامية كانوا يتهمون اليهود بنشر وباء الطاعون ، لذا صارت هناك ضريبة على كل يهودى هى 5000 ذيل فأر فى السنة ..

« دائرة حول الورود ..

جيب ملىء بالأزهار ..

رماد .. رماد ..

فلنسقط جميعًا للأرض .. »

يجب أن أبتعد ..

يجب أن أكون حذرًا ..

هنا رأيت طفلة صغيرة تلبس ثوبًا أبيض قصيرًا تركض خلفى .. سبب دهشتى أن هذا يختلف عن ثياب العصر الكلاسية ..

قالت لى وقد احمر وجهها من فرط الجهد :

ـ « سيدى .. إن أبى يريدك .. »

انحنيت لأكلمها بصوت خافت وسألتها :

ـ « من أبوك ؟ »

قالت :

ـ « د . إتيكوت .. إنه طبيب القرية .. »

يبدو أن هناك روح زمالة فى هذا المكان .. إنه يريد تبادل الآراء معى بصدد بعض القضايا الطبية ، ولربما لديه ورقة علمية جديدة مطروحة للبحث .. أحب هذا الجو العلمى فعلاً ..

هكذا قلت للصغيرة :

ـ « أين هو ؟ »

لم تقل شيئًا إنما اندفعت تركض .. ولم أر بدًّا من اللحاق بها .. ليس جريًا طبعًا لأننى لا أملك ساقيها السريعتين ، لكن خطوتى أطول على الأقل .. وكانت هى تركض وهى تنظر للخلف حريصة على تقليل المسافة ..

الحق إن الموت كان فى كل مكان .. كان فى كل ركن ..

عربة نقل الموتى تمر بى وسائقها ينظر لى نظرة خبيثة :

ـ « هاتوا موتاكم لى ! »

كأننى سوف أجامله وأموت حتى لا أجرح خاطره ..

السؤال هنا هو : كيف يظل هذا الرجل حيًّا ما لم يكن هو الموت نفسه ؟

— 2 —

الصغيرة ذات الثوب الأبيض القصير تركض وأنا خلفها ..

فى النهاية انسلت إلى مدخل بيت صغير عليه علامة الصليب الأحمر التى تميز البيوت التى دخلها الوباء ، وهذا سبب علامة الصليب الأحمر التى نراها اليوم . معنى هذا أن هذا المكان خطير ويجب أن أبتعد أو أكون حذرًا ..

هناك قط كسول يجلس على المدخل يرمقنى .. محظوظ جدًا هذا الوغد لأنه بعيد عن العدوى ..

هناك أزهار على الجانبين لم تلق أى عناية منذ زمن ، وهناك الكثير من الضمادات الملوثة بالدم .. ورفعت رأسى لأرى حدوة حصان أعلى المدخل .. حظ حسن ؟.. من أين يتوقعونه ؟

عندما دخلت البيت فوجئت بالأبخرة تتصاعد وتحرق عينى ..

رائحة كيماوية قوية جدًا ..

لا أميز رائحة المطهرات المعتادة لكن هناك من يحرق مادة كيماوية تحرق الحلق والأعصاب . ومن بين الدخان الكثيف سمعت سعال الطفلة ثم رأيت كابوسًا حقيقيًا يبرز لى ..

الرجل الغراب !

هو رجل يلبس جلبابًا واسعًا ويضع قناع غراب بمنقار طويل . وعلى عينيه زجاج أسود ويداه فى القفازات ..

ومن تحت القناع قال لى :

ــ « مرحبًا .. أنا د . إتيكوت طبيب القرية .. لقد أحضرتك نانسى سريعًا .. »

هنا فهمت سر هذا الزى الملغز الرهيب .. هذه ثياب أطباء الطاعون . كانوا يعتقدون أن الوباء ينتقل عبر الهواء ، لذا كانوا يلبسون هذا الزى لمنع استنشاق الهواء .. طبعًا كان هذا الزى ممتازًا فى جلب البراغيث والاحتفاظ بها ، ولم يكونوا يعرفون أن الوباء ينتقل عن طريق البراغيث .. النتيجة أن المرض ازداد نشاطًا بين الأطباء .

مد يده يصافحنى فتراجعت فى ذعر ..

على الفراش ترقد تلك المرأة الشاحبة التى تنزف من بين شفتيها وقد قبضت على الملاءة بطريقة (كارفولوجى) الموحية باقترابها من القبر جدًا ..

كانت هناك عصابة على عينيها ..

سألت الطبيب :

ــ « لماذا تعصبون عينيها ؟ »

قال فى ثقة كأنه عالم راسخ :

ــ « لأن المرض ينتقل بنظرات العيون .. لابد من عصب عيون المرضى .. »

ثم أضاف وهو يخرج قطعة صابون من جيبه :

ــ « هناك كذلك هذا الصابون . نغسل به كل شىء .. إننا نصنعه من صديد المرضى لأنه يهبنا الوقاية ! هل تريد أن تغسل يدك ؟ »

كدت أفقد وعيى .. كل هذا كان يحدث للأسف ويدل على حجم التقدم العلمى الذى حققناه مع رجال من نوع (بيرسين) و(هافكين) .. لا شكرًا .. لا أريد بالتأكيد أن أغسل يدى بصابون من صديد مرضى الطاعون ..

كان يشعل بخورًا ويصب فيه كميات هائلة من مواد كيماوية ومساحيق .. فتصاعد الدخان ليحرق عيوننا أكثر .. ثم قال لى :

ــ « الفـكرة هى أنك لسـت من البلـدة وبالتأكيد لم تصب بالعدوى .. »

قلت مصححًا :

ــ « كح .. كح .. بل لم أصب بعد .. »

ــ « هذا يجعلك مؤهلاً لمعرفة السر الذى لا يعرف أحد .. »

* * *

عندما غادرنا المنزل أوصد الطبيب الباب ..

كان هناك رجل شرطة قريب .. كيف عرفت أنه رجل شرطة ؟.. لأن رجال الشرطة يحملون نفس الملامح فى كل مكان وزمان .

رجل الشرطة هذا تقدم وثبت سلسلة ثقيلة (جنزير) على باب البيت ليمنع الدخول والخروج . صحت فى الطبيب مندهشًا :

ــ « ومن يعنى بالمرأة ؟ »

ــ « أسرتها معها .. »

ــ « وكيف يجلبون لها ولهم ما يريدون .. ؟ »

ــ « فليتولهم الله .. لو ظلـوا أحياء بعد الوباء فلسوف نفتح لهم هذا الباب ! »

وفى الخارج كان بعض الأطفال يرقصون وقد تماسكت أيديهم :

« دائرة حول الورود ..

جيب مليء بالأزهار ..

رماد .. رماد ..

فلنسقط جميعًا للأرض .. »

رفع الطبيب رأسه الشبيه برأس الغراب إلى السماء وكذا فعلت أنا .. كان ذلك الطائر يحوم هناك ..

قال لى الطبيب :

ـ « هذا هو طائر (البيكا) .. نوع من الغربان تأكل كل شيء .. لقد كان يحوم أمس هكذا وكنت أنا أعود مريضًا ، ثم هز ذيله سبع مرات وألقى بهذه فوق رأسى .. »

مددت يدى فألقى الرجل فيها قطعة من الذهب .. لست خبيرًا لكنى أعرف بالذهب عن طريق (الحضور) .. للذهب كاريزما واضحة وأنا أعرفه كما أعرف بطل فيلم باللغة الفنلندية .. إنه له حضورًا أكيدًا ..

رفعت عينى للرجل أسأل عما هو مطلوب منى .. بالطبع لا أرى عينيه بتاتًا ..

قال الرجل :

ـ « تكرر هـذا مرتين فجعلت نانسى تطـارد هـذا الطائر .. راحت تركض وراءه حتى بلغت مقبرة جماعية خارج البلدة كنا نتخلص من الجثث فيها .. قبل أن نفكر فى الحرق .. »

كنا واقفين فى الظلال .. وقد كنت أشعر بقلق بالغ من هذه اللهجة ..

ـ « هذا الذهب ليس كأى ذهب .. إنه سر أسرار القرية وهى تتوارثه منذ عدة قرون .. إن هذا الكنز مخبأ عند أحد أعياننا لكننا لا نعرف من هو .. فقط نعرف أن وجودنا وسلامنا يتوقف على هذا الكنز ، ولربما كان القس هو من يحتفظ به .. على كل حال لقد مات كثيرون وعمت الفوضى وراح محراث الموت يطير الرقاب فى كل صوب ، لهذا ضاع الكنز وألقى به فى الحفرة مع جثة أحدهم . الدليل الوحيد على وجوده هو هذا الطائر .. هذا الطائر الذى يعرف سرًا لا يعرفه أحد .. »

قلت فى حيرة :

ــ « وماذا تتوقع أن أفعل ؟ ولماذا أنا ؟ »

قال وهو ينظر حوله :

ــ « الكل يعرفنى .. لا أستطيع الذهاب هناك من دون أسئلة فضـولية ، ثم إن لـدى عملى هنـا . لا أسـتطيع ترك هؤلاء البؤساء .. »

كدت أقول له إن ما يقوم به غير ذى جدوى ، لكننى فضلت الصمت .. لو أنه أضاع الوقت فى إبادة البراغيث والفئران لانتهى الوباء ..

قال الطبيب :

ــ « أنا توسمت فيك النقاء والصدق . لهذا عهدت لك بأن تجد هذا الكنز دون أن يعرف أحد .. »

لم يترك لى فرصة الاعتراض ..

انطلقت الطفلة نانسى ذات الثوب الأبيض القصير تركض فى الطريق لتقودنى إلى خارج البلدة حيث المقبرة القديمة ، وكدت ألحق بها عندما نظرت للخلف ..

فوجئت بحشد من الناس قادمًا من أعلى الطريق .. أغرب حشد رأيته فى حياتى . أنت رأيت أفلام الزومبى مثل (فجر الموتى) و(ليلة الموتى الأحياء) ، لهذا تعرف كيف يبدون وكيف يمشون .. كان هؤلاء القوم قادمين بنفس الطريقة وهدفهم واضح هو الطبيب .. وأنا ..

إنهم من مرضى الطاعون هذا واضح .. تحاملوا على أنفسهم ليغادروا الأسرة ..

تراجع الطبيب فى ذعر ...

صرخ وهو يلصق ظهره بباب بناية :

ــ « كفوا يا حمقى .. ما تؤمنون به خرافات !.. »

لكنهم لم يبالوا .. وسرعان ما ألقاه رجل ضخم الجثة على الأرض وبرك فوقه ، ثم جلس آخـر وأخـرى . تزايد العدد بلا توقف .. حتى صار أسفل كومة أجساد وراح يصرخ ..

فهمت !

كانت هناك خرافة تقول إنك تشفى لو نقلت مرضك لشخص سليم .. لهذا كان المرضى يهاجمون الأصحاء ويقتحمون بيوتهم ..

هذه العصابة تجوب الشوارع بحثًا عن أشخاص لم يمسهم المرض ..

رأونى فتعالت الأصوات وأشار بعضهم لى ..

ـ « هاتوه ! »

هكذا رحت أجدّ السير مبتعدًا بحثًا عن الطفلة ذات الثوب الأبيض القصير ..

هؤلاء المرضى لن يلحقوا بى ما لم أتخبط أو أتعثر .. فى أفلام الزومبى دائمًا ما ينجح هؤلاء فى القبض على البطل مهما كان فارق السرعة ..

يمكن القـول بلا خطأ كبير إن د . إتيكوت قـد مات .. وابنته صارت يتيمة ..

لن أخبرها طبعًا لكنى لن أتركها وحيدة ..

كنا الآن خارج البلدة الصغيرة . كانت هناك غابة صغيرة وعند طرفها كانت كاتدرائية صغيرة يبدو أنها منسية .. رفعت رأسى للسماء فرأيت طائر البيكا يحوم مرارًا ..

أمام الكنيسة كانت هناك ساحة ممتدة .. حفرة عملاقة متسعة أكبر من تلك التى رأيتها ، وكانت مغطاة بالجير الحى .. لا . لم يحاول أحد أن يشعل النار فيها ..

وقفت الطفلة هناك تراقب تعبيرات وجهى ، فأمرتها أن تبتعد ..

الحفرة متسعة جدًا ومنها تطل أيد أو أرجل متقلصة .. مشهد لا يغرى بالبداية أصلاً ..

لن أبدأ فى إخراج هذه الجثث المتحللة من أجل الذهب .. ثم لو وجدت الذهب فمن سيأخذه منى هذه المرة ؟

هنا جاء الحل بصورة غير متوقعة .. الطائر (البيكا) هبط عند الجهة الأخرى من الحفرة وراح يعبث .. وفجأة رأيته يرتفع وفى فمه قطعة من الفضة ..!

إنه هناك .. ركضت .. مددت غصن شجرة وسط الأجساد شبه المدفونة التى غمرها الجير الحى .

هذا هو .. كيس من خيش فيه عملات ذهبية كثيرة .. اضطررت إلى المشى على حافة الحفرة كى أصل له ..

أى !.. من الذى !

يد من حديد تطبق على قدمى !... يد من حديد تجذبنى لأسفل ..

ووجدت نفسى وسط الجثث فى حفرة يغمرها الجير .. هناك جثة كانت تمر بطور من التصلب الرمى مما جعلها تطبق على كاحلى .. هذا هو الاحتمال الوحيد .. المشكلة هى أننى متورط جدًا .. أهوى لأسفل وسط هذه الفوضى ..

سوف أصعد .. لا مشكلة ..

فجأة شعرت بسائل يتساقط فوقى .. يبلل كل شىء ..

سائل له رائحة الكيروسين .. من المجنون الذى ؟

سمعت صوتًا وقورًا يقول :

– « الجير ليس فعالاً . لهذا قررنا أن نحرق الجثث هنا ! »

– « أحسنت يا سيدى الخورى .. هذا هو الحل الوحيد كما فعلنا داخل البلدة ! »

وسمعت صوت المشعل ثم سمعت السائل يغلى .. هناك ظاهرة غامضة هنا هى أننى أسمع من يقفون خارج الحفرة بينما هم لا يسمعون صياحى ..

كنزكم سيحترق يا حمقى !

أنا أحترق !

تكلمى أيتها البلهاء نانسى !

لكنها كانت قد انصرفت ، وسمعتها تغنى مع الأطفال على بعد خطوات :

« دائرة حول الورود ..

جيب ملىء بالأزهار ..

رماد .. رماد ..

فلنسقط جميعًا للأرض .. »

نعم .. رماد .. رماد... فلنسقط جميعًا للأرض !

في هذه القصة كان هناك إيحاء قوى بأغنية أطفال غربية .. هل تعرفها ؟.. لاحظ أنها أغنية محورية للقصة .. ابحث عنها بدقة فى كتيب أغانى المهد فى نهاية هذا الكتاب، وتذكر أن الإجابة ليست مباشرة كما تتصور !.. دون رقم الأغنية واحتفظ به ...

القصة الخامسة

إنهم قادمون

— 1 —

كنت أهذى ..

كنت أعرف هذا وأنا أتقلب فى الفراش .. فمى جاف كالحطب .. لعابى لزج .. حرارتى عالية .. أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم ..

كنت أهذى .. الأسوأ أننى لم ألق أحدًا منهم فى لحظات يقظتى قط .. كانوا يأتون فقط وأنا نائم .. لكنهم كانوا يعنون بى . عرفت هذا من الوسادة المبتلة التى تدل على عمل كمادات ، ومن رائحة جسدى العطرية مما يدل على أنهم ينظفوننى ..

لكن من هم ؟

ثم كنت أنزلق لعالم النوم من جديد .. وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم بأننى أتقلب وأحلم ..

* * *

كنت أهذى ..

كنت فى عالم غريب .. أترنح فوق أرض تذوب من تحتى كأنها من ورق .. تتجعد .. تنكمش ..

هناك عند شط غريب ..

ماء أزرق عجيب .. لم أر هذه الزرقة فى حياتى إلا فى الحبر ..

الموج يرتفع فيأخذنى إلى العمق .. وأغوص .. وأغوص .. أغوص .. لكنى برغم الخوف والعجز أشعر بظمأ قاتل .. أريد أن أشرب ماء البحر كله فلا أستطيع ..

أنهض من النوم وأقول لنفسى إننى أحلم .. ثم أغيب من جديد ..

رباه .. لقد عرقت كثيرًا .. لهذا يحرق الظمأ أحشائى ..

* * *

عندما استطعت أن أنهض على قدمى ، كنت أشعر بأننى أمشى على عودين من المكرونة المسلوقة .. وراح فخذى يهتز بعنف ..

الطبيب الذى جاءونى به لم يكن مريحًا .. لم يكن لطيفًا .. إن له تلك الملامح الشقية التى لا يمكن أن تحبها أبدًا .. لماذا لم أرتح له ؟.. لا أعرف لكنى أعرف يقينًا أننى لم أحبه .

سألته عن السبب الذى جاء بى هنا ، فقال :

ــ « لقد هاجموك .. »

ــ « من هم ؟ »

نظر للأسرة وبدا أنه لا يعرف ما يقول ، ثم قال :

ــ « المتسولون الذين يجوبون المنطقة .. أنت كنت غريبًا ضل الطريق ولم تعرف الخطر .. »

ثم قاس حرارة جبينى بظهر يده وقال :

ــ « وجدك جاك وزوجته أمام الباب فجروك إلى الداخل وقاموا بالعناية بك .. إنهما ملاكان .. »

ــ « وما سبب الحمى التى أعانيها ؟ . هل هى ؟ »

وابتلعت لفظة (طاعون) .. هذه القصص لا علاقة لها ببعضها سوى أن لها بطلاً واحدًا .. لا أعتقد أننى مصاب بالطاعون . لا توجد عقد لمفاوية فى جسدى ولا فى خن فخذى ..

قال الطبيب الذى لا أرتاح له البتة :

ــ « هو البرد .. لقد أثر فى رئتيك بالتأكيد ، لكنك سوف تشفى لو داومت على استعمال الدهون التى أوصيت بها ، مع استنشاق الأبخرة .. »

بالطبع .. أعرف هؤلاء النصابين منذ زمن ..

حقًا لا أفهم ما دور أطباء هذه العصور بالضبط .. قبل اكتشاف المضادات الحيوية وإنزيمات الكبد وميكانزم ارتفاع ضغط الدم والتجلط .. إلخ .. ما هو دورهم بالضبط غير النصب ؟ لهذا تجد الطبيب منهم مجرد صديق عزيز يزور الأسرة ويتناول العشاء معها ثم يرحل .

وبالفعل أعلنت الأسرة أنها ستتناول العشاء ، ودعوا الطبيب ليأكل معهم .

جلست على المنضدة العتيقة أحاول ألا أسقط من على المقعد .. كل شىء يدور بى .. اصطدمت قدمى بشىء طرى تحت المقعد فأدركت أنه كلب غاف .. جميل ...

جاءت صبية شاحبة مذعورة بصحفة عليها لحم .. لحم كثير .. ثم دجاجة ..

بالطبع انقض الطبيب على الدجاجة .. برهن على أن شهيته ممتازة فعلاً ..

أما جاك فقد راح ينظر للحم ..

ثم إنه بدأ ينتقى بعض القطع الحمراء وينقلها لطبقه بالشوكة ، أما زوجته فراحت تلتقط الدهن بلا توقف ..

لم يضع أحد لحمًا أمامى وهذا يروق لى .. من ناحية أنا مشمئز منه ، دعك من أننى لأسباب دينية لا أعرف طريقة إعداد هذا اللحم ولا نوعه .

هكذا مددت يدى حيث كان طبق هائل من الحساء .. هناك رغيف خبز ، فرحت أنثر الخبز فى الحساء وأصطاده بالملعقة كأنى صياد يجلس على بركة ساخنة سمكها خبز ..

قال الطبيب بفم ملىء باللحم الأبيض :

ــ « جميل . أنت تسترد عافيتك .. »

نظرت للزوجين فوجدت أنهما قد أنهيا الطبق تمامًا .. شهية ممتازة فعلاً ..

عبثت بالسكين فى طبقى وسألت :

ــ « ما هو موضوع المتسولين هذا ؟ »

قال الطبيب الذى لا أحبه أبدًا :

ــ « الفقر يجعل الناس شرسين ، وهؤلاء القوم يطلبون الصدقة من عابرى السبيل ، فإذا رفضوا انهالوا عليهم ضربًا"

كل هذا جميل .. لكنى لا أشعر أننى تلقيت ضربة .. أنا محموم وجسدى مريض سقيم لكن لا أشعر بآثار ضرب فى أى مكان ..

ــ « هل يمرون كثيرًا ؟ »

ــ « كل ليلة تقريبًا عند منتصف الليل ، لذا يحرص الناس على أن يكونوا فى بيوتهم قبل ذلك .. أنت لم تفعل ووجدت نفسك وحدك معهم .. »

ثم أضاف بصوت رهيب :

ــ « عندما تسمع الكلاب تنبح فى منتصف الليل تعرف أنهم قادمون .. »

هنا دوى من الشارع صوت ينادى :

ــ « **الثامنة يا قوم !.. الفراش واطفئوا المصابيح !** »

الثامنة ؟؟

هؤلاء القوم يمرون بحالة طفولة متقدمة .. لابد أنهم يشاهدون أفلام الرسوم المتحركة فى التلفزيون ..

نهض الطبيب مذعورًا وشكر الزوجين على العشاء ، ثم جفف فمه بكمه وأعلن أنه عائد لداره .

يبدو أن جوادًا كان ينتظره فى الخارج ، لأن صوت الحوافر تعالى على الفور ..

يبدو أنه يريد العودة قبل أن يقابل المتسولين ..

قلت للزوجين إننى أريد العودة لفراشى فأنا أشعر بأنى موشك على القىء .. هز جاك رأسه موافقًا .. انصرفت وأنا أقول نفسى إن علىَّ أن أرتب أمورى بسرعة .. يجب أن أغادر هذا لبيت الكريم بسرعة ، فقد اعتمدت على كرمهم أكثر من اللازم ..

دخلت حجرتى المظلمة ذات الرائحة الخانقة . المرض العقاقير جوار الفراش ..

لكن .. هناك ظل يتحرك . من هو .

أجفلت وكدت أصرخ ، لكن يدًا باردة أمسكت بيدى :

ــ « سيدى .. هناك شىء يجب أن أخبرك به .. لا تصرخ أرجوك ! »

ـ 2 ـ

الخادمة الشاحبة تهمس بصوت مبحوح .. تطالبنى بألا أتكلم .. عيناها واسعتان تثيران الرعب فعلاً ..

قالت وهى تنظر حولها خشية أن تفاجأ بسيدتها تقف فوق رأسينا :

ـ « ثمة ما يجب أن تراه فى العلية .. أرجو أن تصعد هناك عندما ينام الجميع .. لكن لا تلمس أى شىء .. »

قلت وأنا أجفف عرقى :

ـ « أنا واهن جدًا .. لا أقدر على الصعود .. »

هزت رأسها متفهمة ثم قالت لى :

ـ « إذن اسأل السيدة عن (إلزى) وراقب رد فعلها .. »

ثم هربت قبل أن تطلب منى ألا أتكلم .. الحمقاء !.. على كل حال هذا مفهوم ..

قضيت الليل أتقلب مع الكوابيس والعرق والحمى ، حتى بدأت أفكر جديًا أننى أصبت بالحمى المالطية (بروسيلا) وهو داء خطير فى غياب المضادات الحيوية ..

رباه .. أنا مريض فعلاً ..

* * *

أترنح فوق أرض تذوب من تحتى كأنها من ورق .. تتجعد .. تنكمش ..

هناك عند شط غريب ..

ماء أزرق غريب .. لم أر هذه الزرقة فى حياتى إلا فى الحبر ..

الموج يرتفع فيأخذنى إلى العمق .. وأغوص .. أغوص .. لكنى برغم الخوف والعجز أشعر بظمأ قاتل .. أريد أن أشرب ماء البحر كله فلا أستطيع ..

* * *

على مائدة الإفطار سألت السيدة دون أن أنظر لها :

ـ « قبل قدومى عندكم سمعت فى القرية كلامًا عن فتاة تدعى (إلزى) كانت تعمل هنا .. هل هناك فتاة بهذا الاسم ؟ »

صمتت للحظات وأقسم أنها تبادلت نظرة مع جاك ، ثم وضعت أمامها قطعة كبيرة من الدهن وقالت :

ــ « كانت خادمًا عندنا .. لم تكن نشيطة .. يبدو أن هناك من دللها كثيرًا ، وكانت تصحو فى التاسعة صباحًا ولم تكن تطعم الخنازير .. كانت كسولاً جدًا ! »

قال جاك فى صرامة :

ــ « طردناها طبعًا .. من قال لك اسمها ؟ »

ــ « سمعته فى القرية .. »

قلتها وعرفت أننى ارتكبت خطأ ما يقينًا .. هما غير مقتنعين .. من الواضح أن أهل القرية لا يتكلمون عن الفتاة أو لا يعرفون اسمها أصلاً .. هذه الأخطاء الشائعة الشهيرة جدًا ..

أنهيت إفطارى ثم شكرتهما وأعلنت أننى راغب فى الرحيل غدًا .

قال جاك فى إصرار :

ــ « هذا لن يكون .. لن ترحل وأنت محموم واهن .. »

ــ « لقد تطفلت عليكما أكثر من اللازم .. »

ــ « لا نقبل هذه الأعذار .. »

عدت إلى غرفتى فرقدت وحاولت أن أنعم ببعض النوم ..

ــ « **الثامنة يا قوم !.. الفراش واطفئوا المصابيح** ! »

ــ « **الثامنة يا قوم !.. الفراش واطفئوا المصابيح** ! »

سمعت الصوت ففتحت عينىّ .. هذه ستكون ليلة قاسية لأن عينىّ لن تغمض فيها بسبب كل هذا النوم ..

جلست فى الفراش أفكر .. من هى (إلزى) الكسول فعلاً وما علاقتها بهذه الأسرة .

أشم فأرًا كما يقول الغربيون فى القصة كلها ..

هكذا غادرت الغرفة بحذر شديد .. ببطء شديد .. حافى القدمين طبعًا .

هناك سلم خشبى يصعد إلى العلية ، فماذا يمكن أن يكون هناك ؟

سيكون تسلق السلم صعبًا جدًا فى حالتى والأسوأ هو أننى سأحمل شمعة فى يدى كى أرى .. احتمال سقوط الشمعة واحتراقى عال جدًا ..

صمتت للحظات وأقسم أنها تبادلت نظرة مع جاك، ثم وضعت أمامها قطعة كبيرة من الدهن وقالت:

ــ « كانت خادمًا عندنا .. لم تكن نشيطة .. يبدو أن هناك من دللها كثيرًا، وكانت تصحو فى التاسعة صباحًا ولم تكن تطعم الخنازير .. كانت كسولاً جدًّا ! »

قال جاك فى صرامة:

ــ « طردناها طبعًا .. من قال لك اسمها ؟ »

ــ « سمعته فى القرية .. »

قلتها وعرفت أننى ارتكبت خطأ ما يقينًا .. هما غير مقتنعين .. من الواضح أن أهل القرية لا يتكلمون عن الفتاة أو لا يعرفون اسمها أصلاً .. هذه الأخطاء الشائعة الشهيرة جدًّا ..

أنهيت إفطارى ثم شكرتهما وأعلنت أننى راغب فى الرحيل غدًا.

قال جاك فى إصرار:

ــ « هذا لن يكون .. لن ترحل وأنت محموم واهن .. »

ــ « لقد تطفلت عليكما أكثر من اللازم .. »

ــ « لا نقبل هذه الأعذار .. »

عدت إلى غرفتى فرقدت وحاولت أن أنعم ببعض النوم ..

ــ « **الثامنة يا قوم !.. الفراش واطفئوا المصابيح** ! »

ــ « **الثامنة يا قوم !.. الفراش واطفئوا المصابيح** ! »

سمعت الصوت ففتحت عينىّ .. هذه ستكون ليلة قاسية لأن عينىّ لن تغمض فيها بسبب كل هذا النوم ..

جلست فى الفراش أفكر .. من هى (إلزى) الكسول فعلاً وما علاقتها بهذه الأسرة.

أشم فأرًا كما يقول الغربيون فى القصة كلها ..

هكذا غادرت الغرفة بحذر شديد .. ببطء شديد .. حافى القدمين طبعًا.

هناك سلم خشبى يصعد إلى العلية، فماذا يمكن أن يكون هناك ؟

سيكون تسلق السلم صعبًا جدًّا فى حالتى والأسوأ هو أننى سأحمل شمعة فى يدى كى أرى .. احتمال سقوط الشمعة واحتراقى عال جدًّا ..

لابد أن الأمر اقتضى شهرًا .. وكان فخذى يرتجف كفخذ ضفدعة الخواجة جالفانى ..

دعك من توترى .. لو رآنى أحد الزوجين لوجَّه لى أسئلة غير مريحة .

هذا هو باب العلية ..

فتحته ..

وفى الداخل رحت أبحث وسط الضوء المرتجف .. هناك حبال وخطاطيف معلقة .. هناك مخلفات . هناك عينان !!

نعم .. وجدت نفسى أحملق فى عينين مجنونتين واسعتين لا تهمدان للحظة ..

عندما استعدت توازنى أدركت أننى أقف أمام فتاة فى العشرين ، مقيدة إلى عمود خشبى .. وهناك كمامة على فمها . لكن شيئًا فى مظهرها أوقفنى وجعلنى لا أفك قيودها كأى فتاة فى موقف مماثل ..

لا داعى لذكر الشعر المجنون الثائر شديد الخشونة .. قد تكون مخبولة أو لا تعنى بمظهرها ..

لا داعى لذكر العينين المتسعتين النشطتين .. قد تكون مجنونة ..

لا داعى لذكر لون البشرة الشاحب تمامًا .. قد تكون مصابة بفقر الدم ..

لا داعى لذكر الجلد المتساقط والمهترئ .. قد تكون مصابة بتسلخات شديدة ..

لكن .. كيف تفسر بربك أن نصف وجهها كان عظامًا عارية بلا لحم ..؟

وأدركت من تنفسها ومحاولتها للتملص أنها لا تتمتع بالهدوء أو العقل ..

أما عن الرائحة فرائحة جثة متعفنة ليس أقل ..

بدأت أتراجع وقد قدرت أن هناك لغزًا مريعًا فى هذا البيت .. لو كانت هذه هى إلزى ، فمن الواضح أن إطعام الخنازير كان أفضل .. من الممكن أن تكون أختًا مجنونة لربة البيت ، لكن لا أحد يقيد المجانين بهذه الطريقة .. هذه طريقة تقييد كلب مسعور ..

نزلت على السلم الخشبى وقلبى يتواثب ..

أعتقد أن الحل الوحيد هو الفرار والعودة بنجدة ..

لابد من إطلاق سراح هذه الفتاة لكنى لن أفعل هذا .. فليفعله آخرون فأنا سئمت طيلة حياتى من تحرير الشياطين ثم اكتشاف هذا فى وقت متأخر ..

* * *

كان هذا منتصف الليل ..

سمعت نباح الكلاب ..

ثم سمعت صوت الأنين والخوار والهمهمة تتعالى فى الشارع .. صوت خطوات ..

إنهم قادمون !

لكن من هم حقًا ؟.. هل هم المتسولون بحق الذين يعتدون على من لا يمنحهم صدقة ؟..

اتجهت لباب البيت .. الباب الذى أغلق برتاج ثقيل ومفتاح .. رحت أنصت السمع ثم أزحت الرتاج وألقيت نظرة .

هــذا رغيف خبــز على الباب .. وفوقه مسحوق أبيض .. لا أحتاج لتذوقه لأعرف أنه ملح ..

ونظرت لباقى البيوت فوجدت المشهد ذاته .. كل بيت أغلق بابه بإحكام ووضع رغيف خبز عليه ملح .

ومن بعيد رأيتهم قادمين ..

هذا الموكب المخيف يمشى فى الظلام وهو يهمهم .. أرى أن البعض يلبس الخرق والأسمال .. يمشون ببطء شديد ويتعثرون لكنهم ينهضون ..

أغلقت الباب وقلبى ينبض ..

إذن المسألة ليست مسألة متسولين ..

المسألة مسألة زومبى أو موتى أحياء... كل قرية فى جاميكا يعرف أهلها أن عليهم أن يضعوا خبزًا وملحًا أمام الباب حتى لا يؤذيهم الزومبى ، وقيل لأن هذا يحرر الأرواح السجينة..

لقد كذب علىَّ الجميع فلماذا كذبوا ؟

يمكن القول بلا خطأ كبير إن الفتاة السجينة فى العلية ابنة جاك أو اخته أو أخت زوجته .. لقد تحولت إلى زومبى كالآخرين ، لكن جاك لم يكن على استعداد لأن يتركها أو يقتلها .. هكذا صار هذا سر الأسرة الصغير .. إنها فى العلية يطعمونها ويقيدونها ويمنعونها من إيذاء الناس ...

إذن أسرة جاك أنقذت حياتى عندما جذبتنى للداخل .. حتى رغم حساسيتهم بصدد سرهم لم يطيقوا تركى لأموت .. صحيح نهم جاءوا لى بطبيب لا أرتاح له ، لكنهم فعلوا ما بوسعهم ..

يجب أن أخبرهم بذلك وأخبرهم أننى لن أفشى سرهم على سبيل عرفان الجميل ..

* * *

عندما استدرت للخلف وجدت جاك ..

أصابنى الرعب للحظة .. لقد رآنى وعلى الأرجح فهم ما كنت فعله ..

قلت له معتذرًا :

ــ « صدقنى سوف أرحل غدًا .. إن سركم سيبقى مصانًا .. »

لكنه مذعور .. ليس غاضبًا بل هو مذعور !..

ما سبب هذه النبرة الخشنة فى صوتى ؟

لماذا تبدو يدى بشعة بهذه الطريقة ؟

لماذا انقضضت على جاك ؟.. لماذا أنشبت أسنانى فى عنقه رغم أنه لم يؤذنى ؟.. لماذا مزقته تمزيقًا ؟

لماذا عندما هوت زوجة جاك بالنشابة على رأسى لم تؤلمنى ؟.. حتى وقد تفجر جزء من جمجمتى لم أشعر بشىء ؟

لماذا انقضضت عليها فمزقتها هى الأخرى ثم رحت أبحث عن الخادم الشاحبة ؟

لماذا راحت تصرخ كصفارة الحريق وهى تلوح بسكين المطبخ لكنى لم أبال .. ثم انقضضت عليها بدورى ؟

أعتقد أننى فهمت السبب ..

الزومبى قد عضونى فى تلك الليلة ولهذا أنا مصاب بالعدوى ، ولهذا أنام كل ليلة محمومًا غارقًا فى العرق والكوابيس .. لقد كانت الجرثومة تنمو فى دمى .. حتى تم التحول ..

لم يعرف أحد هذا .. حتى الطبيب الغبى الذى لا أرتاح له ..

لقد تم التحول وصرت (زومبى) كاملاً أنا الآخر ..

حان الوقت إذن كى أفتح الباب وانضم للقطيع الزاحف فى الشوارع !

فى هذه القصة كان هناك إيحاء قوى بأغنية أطفال غريبة .. هل تعرفها ؟.. لاحظ أنها أغنية محورية للقصة .. ابحث عنها بدقة فى كتيب أغانى المهد فى نهاية هـذا الكتاب ، وتذكـر أن الإجابة ليست مباشرة كما تتصور !.. دوّن رقم الأغنية واحتفظ به ...

القصة السادسة

مدام شادية وزوجها

ـ 1 ـ

قالت مدام شادية :

ـ « هناك خطأ ما .. »

قال السيد (شادية) زوجها :

ـ « نعم .. هناك خطأ ما .. »

قالت مدام شادية :

ـ « الشرطة لم تجد أى شىء .. »

قال السيد (شادية) زوجها :

ـ « هذه الأمور سهلة كما تعلم .. »

لم أحب ما يحاولان قوله قط .. هذه مبالغة لا شك فيها ..

قلت لهما وأنا أتناول كوب الشاى الذى قدماه لى :

ـ « أجد الكثير من العسر فى قبول ما تلمحان له .. أنت تعرف هذه الأمور .. لو إننى تعثرت يوم السبت فى الشارع .. وبدا منى شرود ذهن يوم الاثنين .. وسقط من جيبى محقن

مستعمل يوم الأربعاء ، فمن الممكن أن تجد عبقريًّا يفترض أننى مدمن مخدرات .. نفس الشىء ينطبق هنا .. »

قالت مدام شادية :

ـ « ولو لاحظنا أن لك نابين يوم السبت .. ورأينا الدم على شفتيك يوم الاثنين .. ورأيناك تنام فى تابوت يوم الأربعاء فماذا نستنتج ؟.. »

لم أعرف ما أقول .. حجة قوية فعلاً ...

* * *

لم أكن شغوفًا بالاجتماعيات فى أى يوم من حياتى ، وهى حقيقة يعرفها الجميع ، لكن السيدة شادية جارتى اقتحمت حياتى منذ جاءت وأسرتها هنا ..

كانت قوية الشخصية شديدة المراس عالية الصوت ، وكانت تؤمن أن الخطيئة كل الخطيئة هى ألا يتزوج المرء ، لذا جعلت مهمتها أن تعرفنى على عدد هائل من العرائس المحتملات .. صفاء وعايدة وناتسى وهدى وليلى ....

طبعًا كن جميعًا أرامل أو مطلقات .. مع سنى هذه لا يمكن أن تبحث عن عروس شابة ، وطبعًا برهنت فى كل مرة على إننى أحمق .. هكذا يئست منى .. لكنها قررت أن أظل صديق الأسرة ..

زوجها كان أقرب إلى أن يكون زوجتها ، فهو مطيع صموت خجول .. لا يتكلم أبدًا إلا ليؤيد كلامها ..

عندما يحتد عليك لسبب ما فلأنه يخشى أن تتهمــه زوجته بالضعف ..

هكذا عرفت مركز القوة فى ذلك البيت ..

النقطة الثانية المهمة ، هى أن المــرأة كانت تؤمن بقــوة بالحسد والسحر والعمال المدفونة .. وكانت تفترض أننى أفهم هذه الأمور ، لذا راحت تسألنى :

— « ماذا تفعل لو كان هناك عمل ضدك مدفون فى فم ميت ؟ »

أو :

— « ماذا لو أحرقت العروس الورقية فوجدت أنها صارت تشبه أمك ؟ »

وبالطبع لم أكن أنا أفهم هذه الأمور برغم باعى الطويل مع السحرة والشياطين .. إن تراث السحر لدى ربات البيوت ثمين معقد يصعب أن تلم به ..

هكذا برهنت لها للمرة الثانية على أننى أحمق .

لكنها لم تيأس ..

كان لديها طفلان .. مها وعمرو .. مها فى السابعة من العمر وعمرو فى الثامنة .. كانا شيطانين صغيرين وكنت أتجنبهما بأى ثمن ..

هكذا كانت حياتى تمضى ..

عندما كانت السيدة تقنط منى كانت تتجه إلى (عزت) البائس ، وهو بطبعه أكثر لينًا وأسهل فى التشكل ..

هكذا سارت الحياة حتى جاء اليوم الذى ذهب فيه الطفلان إلى المدرسة ولم يعودا ..

بالطبع بحث رجال الشرطة طويلاً .. لم يتركوا حجرًا لم يقلبوه كما يقول الإنجليز .. لا يوجد شىء .. لا يوجد من تشتبه فيه . انتظروا طويلاً أن يطلب أحد فدية ، لكن هذا لم يحدث .. انتظروا

حتى يجد أحدهم الطفلين فى بلد بعيد .. لم يحدث .. ولم يبق من الطفلين سوى صورتين معلقتين فى كـل مكان .. لكن لا أحد يتصل ..

لذا جرب الزوجان الخائفان أن يجريا التحقيقات بنفسهما ..

تقع المدرسة على بعد نصف ساعة مشيًا من البيت .. لا توجد تقاطعات تثير الريبة أو الخوف .. يمكنك بالفعل أن ترسل أولادك للمدرسة بلا وجل ، لكنك لا تضمن بالطبع ما يفعله الغرباء .. والأهم كيف يتصرف أبناؤك مع هؤلاء الغرباء ..

هناك على الناصية ـ على بعد ربع ساعة من البيت – محل شطائر اسمه HILL وهو يقدم حلوى ممتازة كذلك .. لذا يحب الصغيران أن يمرا عليه ، وبالنسبة لهما هو مركز العالم .. كل مكان لا يحبه الأبوان هو مركز العالم بالنسبة للأبناء ..

هناك بوابة صغيرة فى تلك البناية التى يوجد فيها المحل .. عندما تدخلها تهبط بضع درجات إلى الطابق الأرضى أو تحت الأرضى . أنت تعرف تلك البيوت التى توجد تحت سطح الشارع ويرى سكانها أقدام المارة عبر نافذة تحرسها القضبان ..

فى هذا البيت تعيش وحدها سيدة مسنة غريبة الأطوار .. نموذج للغراب الآدمى بكل التفاصيل .. النظرة .. الغموض .. الثياب السوداء .. لاحظ أنها عمليًا تسكن تحت المحل ..

يقولون إن اسمها (حفيظة) .. الست (حفيظة) كما يسميها الجيران . يقال إن زوجها مات منذ زمن ولها ابن عقوق لا يزورها أبدًا ، ولا أحد يعرف من أين تنفق ..

قلت للمدام شادية ضاحكًا :

ـ « أى أنها ساحرة شريرة »

قالت دون أن تضحك :

ـ « وماذا تتوقع أن تكون غير هذا ؟.. لو كنا فى العصور الوسطى لأحرقوها دون تأنيب ضمير .. لكننا فى مصر للأسف حيث لا أحد يعرف هذه الأمور ، وحيث يتعامل الناس بتسامح مقزز ! »

— 2 —

قالت مدام شادية :

ــ « أولاً هناك القطط ... القطط التى تحوم حول هذا البيت وتتسلل من النوافذ .. هل يمكنك أن تفسر لى سبب العثور على جلود قطط كاملة .. جلود مسلوخة على بعد أمتار من البيت ؟..

وماذا عن الذيول ؟... ذيول كلاب على الباب وأحيانًا قواقع .. هل سمعت عن مصرى يلقى بقواقع أمام الباب ؟..

هناك أصوات غريبة من النافذة .. الجيران يرون نورًا غريبًا فى بعض الليالى لكنهم لا يعرفون ما يدور بالداخل لأنهم لا يستطيعون الدخول والنوافذ موصدة .

على كل حال هى تمارس الكثير من الأعمال الغريبة .. لماذا تطهو طعامها فى الثالثة بعد منتصف الليل ؟.. وما سر هذه الرائحة الغريبة ؟.. رائحة تذكرك بالجوارب ..

وماذا عن المياه التى تسكبها أمام بيوت الجيران ؟.. والعلب التى بها قطن ملوث بدم ؟.. هذه (أعمال) كما تفهم مدام شادية وهى على ثقة من أن المرأة ساحرة شريرة ..

ــ « لديها كتب غريبة عن الجان .. جامع القمامة وجد صفحات وصفها بأنها (عفاريتى) فى كيس بلاستيكى أمام بابها .. »

قال السيد شادية زوجها :

ــ « هناك من قال إنها تذهب للمطعم أحيانًا لتجمع المناديل الورقية التى تركها الزبائن .. بالطبع لابد أنها تريد جزءًا من بقاياهم .. »

ــ « هى تزور الحلاقين لتجمع بعض الشعر .. »

قالت مدام شادية :

ــ « والدمى القماشية التى وجدوها فى القمامة .. »

قلت لهما وأنا أحاول التقاط أنفاسى :

ــ « ليكن .. هذه مرأة مخبولة أو ساحرة .. على فكرة العالم يعج بالمخابيل لو لم تكونوا قد لاحظتم .. لكن هذا شأنها .. أليس كذلك ؟ »

هنا اتسعت عينا مدام شادية فى توحش وقالت :

ــ « ليس عندما يختفى طفلاى .. »

وقال السيد شادية زوجها :

ــ « ابنانا يذهبان للمدرسة كل يوم ويمران أمام بيتها .. وهى غريبة الأطوار ومخبولة وتتصرف كساحرة شريرة .. ألا يجب أن نشك ؟.. أن نتحرى ؟ »

نعم من حقكما التحرى .. لكن ماذا تتوقعان ؟

هل تظنان أن العجوز فعلت مثل الأساطير ؟..بنت لنفسها بيتًا من الحلوى والكعك ، وعندما مر الطفلان دخلا البيت وسقطا فى الشرك ؟ لربما كانت تسمنهما الآن حتى تعد منهما وليمة ؟

قالت شادية :

ــ « تقريبًا هذا ما حدث لكن على نطاق مصر .. نحن نعتقد أن الطفلين وقعا فى شرك الساحرة وقد التهمتهما أو قتلتهما لغرض ما ، أو هى تتأهب لذلك .. »

قلت فى حيرة :

ــ « ماذا يمكن عمله بطفلين ؟ »

ــ « ما أكثر ما يمكن عمله بطفلين .. دماء الأطفال مادة أساسية فى السحر .. »

كل هذا جميل لكنه لا يريحنى كثيرًا .. هناك نغمة غريبة فى هذا كله .. أعنى أن خطف الأطفال وأكلهم أو استنزاف دمهم ليس لعبة مصرية .. لهذا جو ساحرات سيلم ووسط أوروبا .. إلخ ..

هذان الزوجان يهذيان غالبًا ..

هذا مفهوم طبعًا .. أين ذهب الطفلان ؟.. هما ليسا طفلىَّ لكنى أموت قلقًا عليهما فماذا عن الأبوين ؟

ــ « وما هو المطلوب منى ؟ »

ــ « المطلوب أن تزور هــذه المــرأة .. تحاول أن تستنتج ما تفعله بالضبط وهل هى ساحرة أخرى أم مجنونة ؟ »

أنا أزور امرأة مسنة لمعرفة هل هى ساحرة أم لا ؟.. يبدو هذا غريبًا بعض الشىء .. ومن قال إنها تسمح لى بالدخول ؟

بدت الدموع فى عينىّ مدام شادية وأمسكت بيدى :

ــ « أنت تخشى بعض الحرج .. بينما نحن نخشى أن يموت طفلانا .. هل ترى الفارق بين المشكلتين ؟ »

نظرت للسيد شادية وقلت :

ــ « لماذا لا يتفضل هو بأن .....؟ »

تطوعت هى بالرد كالعادة :

ــ « لأنه غبى .. لا يفهم هذه الأمور .. لو قدمت له العجوز جثة ابنه لأكلها دون أن يلاحظ .. »

هكذا قبلت هذه المهمة العسيرة .. لن يحدث ما هو أسوأ من الإهانة على كل حال .. لا بأس .. صفقة غير خاسرة ..

* * *

أنا الآن عند محل HILL هذا .. هناك كثيرون ينتظرون دورهم لدفع الثمن وشراء الشطائر .. يبدو المكان مغريًا فعلاً ويمكن لطفلين أن يدخلا هنا ويظلا للأبد ..

لكن ما أريده هو الباب الصغير فى الزقاق المجاور للمحل .. الباب الذى يقود لدرجات ومسكن تحت الأرض ..

عند الباب الموصد لمحت أشياء غريبة .. قصاصات وقواقع .. المرأة تتخلص من أنواع قمامة عجيبة فعلاً .. لكن لا يوجد شعر آدمى وأظفار لحسن الحظ..

هناك نحلة تحوم من حولى .. تقول ززززززز كأى نحلة مهذبة .. فى الواقع هناك أكثر من نحلة .. هذه المرأة .. لا أعرف ما تلقيه هنا لكن السكر عنصر مهم .

قرعت الباب حتى كلَّ متنى كما يقول مدرس اللغة العربية .. فلما كل متنى كلمتنى ..

جاء الصوت من وراء الباب :

ــ « من ؟ »

ماذا أقول ؟.. أنا رفعت إسماعيل جئت لأتأكد من أنك لست ساحرة تأكل الأطفال ؟ »

قلت وأنا أتنحنح :

ــ « أنا .. أنا طبيب .. »

ــ « وماذا تريد ؟ »

قلت فى حرج شديد :

ــ « لو فتحت لى الباب لتكلمت بوضوح أكثر .. »

بعد قليل انفتح الباب . كانت هناك سلسلة أمان موضوعة ، ورأيت عينين جديرتين بأفلام جورج روميرو .. الغراب العجوز يرمقنى فى شك ..

فجأة أنزلت السلسلة وسمحت لى بالدخول ..

تبدل وجهها تمامًا وهى تضحك فى مرح ولطف ..

ـ « معذرة .. كم من أشياء مخيفة يمكن أن تحدث لعجوز مثلى لو لم تكن من الطراز المتشكك .. هلم .. هلم .. »

كل شىء يدل على أننى أهبط فى بئر عميقة ..

نحن تحت محل الشطائر بالمعنى الحرفى للكلمة ، ورأيت النوافذ التى أخافها .. النوافذ التى تريك أقدام المارة فى الشارع وهى كنز لهواة التلصص سواء من الداخل للخارج أو الخارج للداخل ..

أنا فى الداخل والباب ينغلق ...

ززززززز !

* * *

كان أول ما رأيته بالداخل وأطار صوابى هو بومة !

نعم .. بومة حقيقية تقف على حامل خشبى وتنظر لى بحكمة .. نظرة البومة التى توحى لك بأنها تعرف كل شىء .. كلما رأيت بومة عن كثب خيل لى أنها وجه بشرى بلا جسد .. كائن مرعب والأسوأ أن المصريين لا يربون البوم فى بيوتهم .. هذا غريب ..

كانت العجوز مرحة جدًا وظريفة .. وهذا زاد الأمر سوءًا ..

الأمر واضح . لقد رقت لها !

رقت لها كرجل أم رقت لها كوجبة ؟

يمكن أن أروق كرجل لامرأة كهذه . هناك ساحرة فودوو من جامايكا اسمها الأم مارشا كانت تعتبرنى فتى أحلامها ..

هناك رائحة عطور فى كل مكان .. المكان كله عطر ، لكن لا أعتقد أن هذا على طريقة ريا وسكينة لإخفاء رائحة الجثث ..

المكان ليس نظيفًا .. هناك قصاصات ورق فى كل مكان ..

هناك جهاز هاتف عتيق .. وهناك منضدة عتيقة عليها كتب يمكن استنتاج محتواها من حالة الورق المصفرة .. هناك بلورة سحرية مما تستعملها العرافات وهناك بندول ..

مدام شادية لم تكن تبالغ ..

أنا فى بيت مخيف فعلاً ..

ونظرت حولى وقدرت أن البيت يتكون من صالة وثلاث غرف .. لابد أن ألقى نظرة سريعة .

نهضت العجوز وقالت إنها ستعد لى كوبًا من الكركديه . لا أعرف لماذا الكركديه بالذات .. لا أعرف لماذا تثق بى ؟.. لماذا لا تخشانى ؟.. معنى هذا أننى الضحية لا الصياد .. ومعنى هذا أن علىَّ ألا أرشف قطرة من هذا الكركديه اللعين ..

لكنى بالفعل كنت ممتنًا لأنها ستنهض ..

ظللت وحدى للحظة أصغى لضجيج الشارع ومحل الشطائر فوقى ..

ثم إننى نهضت بخفة .. اتجهت إلى الغرفة الأولى على اليمين .. نظرت خلفى فرأيت البومة ترمقنى بعينيها المتهمتين كأنها تقول لى إنها تعرف ما أريد ..

كانت غرفة نوم عادية ضيقة جدًا .. ويبدو أنها كالقبر بلا نوافذ ..

الغرفة الثانية كانت تحوى هيكلاً عظميًا لشخص بالغ لحسن الحظ .. معنى هذا أن الأقفاص لو وجدت ستكون فى الغرفة الثالثة أو الحمام ..

سيكون رائعًا لو وجدت طفلين سجينين فى قفص .. سوف ينتهى كل شىء فى لحظة .. لكن الحياة ليست بهذه البساطة ..

غادرت الغرفة واتجهت للغرفة الثالثة .. فتحت الباب ونظرت للداخل .. هناك أشياء كثيرة مريبة منها خطاف معلق من السقف وشاطور وكومة ثياب على منضدة .. هل هذه ثياب أطفال ؟.. ثياب مدرسة حكومية ؟

خطوت خطوة ..

هنا انفتح باب الجحيم ..

شعرت بوخزة فى ظهرى فاستدرت لأجد العجوز تمسك بسكين عملاقة وتنقض علىَّ .. الجنون كل الجنون فى عينيها واللعاب يسيل من شدقيها ..

ــ « يا بن الـــ ...... تتجسس علىَّ ؟.. سوف ترى ! »

الطعنات تنهال علىَّ فى كل لحظة فأتملص .. بينما هى لا تكف عن ترديد :

ــ « سوف ترى !.. سوف ترى ! »

هنا وجدت الشاطور أمامى .. لم أكن أريد ذلك .. لم أفكر فيه .. فقط أردت أن أمنع هذا المنشار الترددى من ثقب قلبى .. رفعته وهويت به عليها .. على السكين فى يدها ..

لكنى فتحت عينىَّ فى اللحظة التالية لأجد نفسى فى قلب قصة الجريمة والعقاب لدستويفسكى !... عجوز ممزقة العنق ساقطة عند قدمى ! بركة دم تتكون ...

تراجعت للخلف حتى لا يلوث الدم ثيابى ..

جريت للحمام الضيق فافرغت معدتى فى المرحاض ..

عدت وبيد مرتجفة رفعت سماعة الهاتف .. لن أمسح بصماتى .. سوف أطلب الشرطة وأعترف ولن أفر ... لكن لابد من أن أبلغ مدام شادية .. إننى أعرف رقم هاتفها لحسن الحظ..

ــ « مدام شادية .. »

ــ « د . رفعت . أين أنت ؟ »

ــ « أنا فى شقتها .. لقد .. لقد هاجمتنى .. كان هذا .. هذا دفاعًا عن النفس .. »

قالت فى هدوء :

ــ « صبرًا .. هل تقصد أنك قتلتها ؟ »

ــ « نعم . نعم . أظن هذا .. »

وانفجرت فى البكاء .. لقد أفلتت أعصابى تمامًا ..

جاء صوتها عبر الهاتف يقول :

ــ « صبرًا .. أنت تعرف انها ساحرة .. أنت دخلت شقتها وتدرك أنها ساحرة .. أليس كذلك ؟ .. »

ــ « بلى .. بلى ... لكن هذا ليس مبررًا كى ... »

قالت فى هدوء :

ــ « هى قد ماتت فعلاً .. لهذا يمكنها أن تكون مفيدة .. تماسك وامسح بصماتك عن كل شىء وتأكد من أن أحدًا لم يرك عند الدخول والخروج .. »

قلت ورأسى يوشك على الانفجار :

ــ « هل تريدين ألا أسلم نفسى للشرطة ؟ »

ــ « نعم .. أريد منديلاً مبللاً بدم هذه المرأة وشعرات من رأسها ! »

— « عم تتحدثين بالضبط ؟ »

— « لاسترداد أطفالى المختفين كنت أحتاج إلى دم ساحرة مقتولة وشعرات من رأسها ! »

* * *

النقطة الثانية المهمة ، هى أن المرأة كانت تؤمن بقوة بالحسد والسحر والأعمال المدفونة .. وكانت تفترض أننى أفهم هذه الأمور ، لذا راحت تسألنى :

— « ماذا تفعل لو كان هناك عمل ضدك مدفون فى فم ميت ؟ »

أو :

— « ماذا لو أحرقت العروس الورقية فوجدت أنها صارت تشبه أمك ؟ »

وبالطبع لم أكن أنا أفهم هذه الأمور برغم باعى الطويل مع السحرة والشياطين .. إن تراث السحر لدى ربات البيوت ثمين معقد يصعب أن تلم به ..

* * *

قلت بصوت مبحوح :

— « أنت .. أنت .. هل كنت تعرفين أنه لا علاقة لها باختفاء طفليك ؟ »

طبعًا ... كانت تريد الدم والشعر فقط لاستكمال وصفتها السحرية ..

لقد سقطت فى الشرك كأحمق .. هى كانت تعرف أن العجوز مجنونة وهناك احتمال لا بأس به أن تهاجمنى فأقتلها .. هكذا كانت تأمل وقد تحققت أحلامها .. هكذا سوف تنال ما تريد وأنا سأظل صامتًا ...

إنها أم مصدومة يعصرها القلق . لكن هل هذا مبرر لاستعمال السحر الأسود ؟

كنت أقف فى الصالة لا أعرف ما أفعله ولا ما أقوله ..

إن رفعت الطبيعى المتعلم يطلب أن أتصل بالشرطة .. رفعت المذعور الراغـب فى ألا يدخل السجن ويؤمن أن هذا حادث مؤسف ، يطلب أن أقر ..

هنا سمعت صوت الرفرفة .. صوت الجناحين ..

وعندما نظرت للخلف أدركت فى جزء من الثانية أن البومة ذلك الطائر الصموت الحكيم لا يبقى كذلك للأبد ..

لم أعرف أن البومة تقتل من قتل صاحبها ..

ربما يفعل البوم المسحور ذلك ...

فى هذه القصة كان هناك إيحاء قوى بأغنيـة أطفـال غربيـة .. هـل تعرفها ؟.. لاحظ أنها أغنية محورية للقصة .. ابحث عنها بدقة فى كتيب أغانى المهد فى نهـاية هـذا الكتـاب ، وتذكـر أن الإجابة ليست مباشرة كما تتصور !.. دوّن رقم الأغنية واحتفظ به ...

القصة السابعة

ما بعد غادة

ـ 1 ـ

لن تبتعد كثيرًا عـن الحقيقة لو قلت إن كل شيء بدأ منذ وفاة زوجته ..

هناك ذلك الحادث المريع الذى لا يجسر المرء على ذكر تفاصيله .. أنت تعرف ما يمكن أن يحدث لسيدة ذهبت لقريتها وسقطت فى الساقية الدوارة .. العجلة العملاقة كانت بحجمها بالضبط ..

كانت هذه هى غادة قريبتى ..

بالطبع انهار ناجى زوجها وعاش أيامًا من الكوابيس .. ما كان له أن يرى الجثة . إن هذه الأمور لا تريح .. هذا أبسط ما يقال عنها ..

كان الحـادث فى الخـامس مـن فبراير .. السـاعة الخامسـة مساء .. هذا تاريخ مهم لأنه التـاريخ الذى بدأ فيه صاحبى ينزلق للجنون ..

* * *

بعد عام تزوج ناجى ..

زوجته كانت تدعى هبة ، وكانت امرأة بالمعنى الكامل للكلمة .. جميلة .. فاتنة .. قاسية جدًا .. غيور جدًا ..

ولأنها غيور جدًا فهى لم تكن تطيق سيرة غادة ..

هذا هو الوقت الذى تم إقحامى فيه فى القصة كالعادة .. أنت تلاحظ أن عدد الأزواج الذين تموت زوجاتهم فيجدونهن فى القمر ، يتزايد هذه الأيام .. ربما هى المرة الثانية التى يحدث هذا فيها فى كابوس ..

لم يكن ناجى يختلف ..

لقد وقف ذات ليلة ونظر للقمر المكتمل فرأى زوجته بوضوح تام .. كانت تنظر له وكانت غاضبة جدًا .. عندما تتزوج بعد وفاة زوجتك فهى تغضب لو لم تكن قد لاحظت هذا ..

كان فى حالة سيئة وقرر أنه يهذى ..

فى تلك الليلة حدث شىء غريب ..

كان هناك من يدق علىّ الباب بلا توقف طيلة الليل .. دقات غاضبة مصرة ..

ذهب واختلس نظرة من عدسة الباب ، ثم فتحه فلم ير أحدًا .. تكرر هذا السيناريو عدة مرات طيلة الليل ...

فى الصباح لم تجد زوجته أحذيتها ..

راحا يبحثان طويلاً بلا جدوى .. وفى النهاية لم تذهب للعمل ، وظلت فى البيت تجوبه حافية القدمين مرددة :

ــ « هذا غير معقول .. هذا لا يطاق .... شغل عفاريت .. »

وانتظر هو حتى موعد افتتاح المحلات حتى يذهب ويبتاع لها حذاءً جديدًا ..

الحقيقة أن هناك الكثير من الأحداث الدرامية التى لا يضارعها إلا هبوط طبق طائر مثلاً..

لذا جرب فى اليوم التالى أن ينظر للقمر .. وهذه المرة لم يكن هناك شىء غريب ..

أدرك أن هذا نوع من الهلاوس وقرر أن يتجاهل الأمر ..

عندما حكى لى هذه القصة قلت له :

ــ « ألم يخطر ببالك أن هذا لا يحدث إلا فى الخامس من نوفمبر ؟ »

حك رأسه مفكرًا وقال :

ـ « لم يخطر لى هذا ببال .. »

قلت :

ـ « لست واثقًا من أنك لا تهذى .. لكن لو كان ما يهاجمك شبحًا أو عفريتًا فمن الطبيعى ـ لو كان هناك شىء طبيعى فى هذا كله ـ أن يختار الخامس من نوفمبر .. هذا بالطبع لو كان شبح زوجتك الأولى .. إنها لا تريد لك أن تنسى الخامس من نوفمبر .. »

قال ناجى وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ « هل تعنى أن هذا الشبح سوف يفزعنى كل يوم 5 نوفمبر ؟.. ليس هذا سيئًا .. خضة كل عام ليست مشكلة .. لنعتبره احتفالاً متأخرًا بالهالويين .. »

ـ « فيما عدا أن بعض الأشباح يكون تفكيرها خلاقًا .. ربما أكثر من سرقة الأحذية كما يفعل لصوص المساجد .. »

ـ « هناك نقطة أخرى مهمة .. هل زوجتى الأولى تظهر فى القمر أم لا .. ؟.. لو كان هذا صحيحًا فلن يتكرر المشهد لأن

القمر ليس بالضرورة بدرًا فى نفس التوقيت الميلادى كل عام .. نحن لا نتكلم عن تقويم هجرى .. »

قلت مفكرًا :

ـ « ربما لا تتبع نفس الخطة فى كل مرة .. »

كان ناجى من الطراز المتفائل الذى يأخذ الحياة ببساطة .. يدخن كمدخنة ويشرب القهوة كبالوعة وله بطن عملاقة ممتازة .. لهذا لم ير فى الموقف إلا الكثير من المرح ..

تمنيت له السعادة والهناء وأن يجد الكثير من التسلية مع هذا الشبح الحولى .. ونسيت الأمر برمته ..

* * *

كانت زيارة العام التالى قاسية بالمعنى الحرفى للكلمة ..

إنه الخامس من نوفمبر ..

فى البداية فتح النافذة المطلة على الشارع ، ونظر للسماء .. كان الشارع قد بدأ يغفو لذا ضعفت الأضواء فعلاً .. عندما نظر لأعلى رأى القمر بوضوح .. كان شبه مكتمل .. وأدرك أنه يرى

ملامح وجه زوجته .. لا شك فى هذا ، ولم يستطع أن ينادى زوجته الثانية هبة لأن هذا سوف يثير رعبها ويضايقها ..

لا شك أن رفعت ليس حمارًا .. إن نبوءته صادقة بصدد هذا اليوم ..

الأسوأ هو أن الطقس بارد فعلاً .. هناك ريح عاتية ..

وكان هناك طائر مسكين يتوارى باحثًا عن الدفء ، محاولاً أن يبعد رأسه عن العواصف .. مسكين !.. مساكين كل هؤلاء الذين سيبيتون خارج ديارهم فى ليلة كهذه ...

أغلق النافذة وقرر أن هذه على الأرجح ستكون ليلة صعبة ، لكن عليه أن يدعها تمر بأى شكل ..

— 2 —

عند منتصف الليل اتصلت به أخته المقيمة فى إمبابة .. كانت تشعر بألم شديد فى خاصرتها ويبدو أن هذا مغص كلوى عنيف .. كانت تعيش وحدها بعد وفاة زوجها وزواج أبنائها ولم يكن هناك من يفعل لها أى شىء..

ارتدى ناجى أثقل ما عليه من ثياب وطلب من زوجته الجديدة ألا تفتح الباب مهما حدث ... كانت العاصفة تشتد بالخارج كأن السماء تحتفل بيوم الخامس من نوفمبر هذا .. استوقف سيارة أجرة بصعوبة وانطلق لينجد أخته ..

كان عليه أن ينتظر أكثر من اللازم ليعرف أنها لعبة جديدة تلعبها غادة ..

لقد وجد البيت مغلقًا ودق الباب مئة مرة إلى أن فتحت له أخته .. كانت مدثرة فى الثياب وتضع على كتفيها بطانية ، لكنها فى خير حال .. لا يوجد مغص كلوى ولم تتصل به أصلاً..

قالت له :

— « إما أنك جننت أو هذه كانت أسمج معاكسة تليفونية فى التاريخ .. »

ثم أصرت على أن يدخل البيت وأن تقدم له بعض الشاى .. ان هناك طبق محشو بقى من غدائها فأصرت على أن يلتهمه .. نها تصر على أن محشو الكرنب ممتاز لمقاومة البرد ، وهو ان عاجزًا عن الاعتراض ..

ليست معاكسة تليفونية .. من يعاكس لا يستخدم ذات صوت ونبرات أختك ليجعلك تغادر بيتك ليلاً .. هذه قدرات فوق بشرية .. ا ورائية .. لا شك فى هذا..

أما فى البيت الذى تركه وخرج كان هناك سيناريو آخر يدور ..

* * *

كانت الزوجة الثانية فى البيت ــ هكذا حكى لى ــ تصغى لعاصفة وترتجف . فتحت النافذة ونظرت للقمر .. خيل لها للحظة كأن هناك ملامح إنسان منطبعة عليه .. كلام فارغ طبعًا ...

منذ قرون يتحدث الناس عن الرجل الموجود فى القمر ، ولكن الحقيقة هى جبال وأخاديد القمر .. الإنسان يتخيل ما يريد ..

هنا دق الباب مرارًا ..

اتجهت لتفتحه .. وضعت أذنها عليه وهتفت :

ــ « من ؟ »

جاء صوت زوجها ناجى متأففًا :

ــ « إنه أنا يا هبة .. افتحى .. من عساه سواى فى طقس كهذا ؟ »

مدت يدها وأزاحت المزلاج .. هنا ــ لسبب لا تعرفه ــ قررت أن تلقى نظرة عبر عدسة الباب .

كان ناجى بالفعل .. ولكن متى ارتدى هذه الثياب الخضراء ؟.. ومنذ متى وجهه مخضر بهذه الطريقة ؟.. هل استبدل ثيابه عند أخته ؟

قالت قبل أن تفتح الباب :

ــ « لماذا بدلت ثيابك يا ناجى ؟ »

ــ « الأمطار .. بحثت عن ثياب لدى شقيقتى .. »

لم تقتنع ..

أعادت النظر عبر عدسة الباب .. وأدركت فى جزء أن هذا ليس ناجى .. هناك اختلاف طفيف لكن من السهل على عين امرأة أن ترصده ..

ثم أصرت على أن يدخل البيت وأن تقدم له بعض الشاى .. ان هناك طبق محشو بقى من غدائها فأصرت على أن يلتهمه .. نها تصر على أن محشو الكرنب ممتاز لمقاومة البرد ، وهو ان عاجزًا عن الاعتراض ..

ليست معاكسة تليفونية .. من يعاكس لا يستخدم ذات صوت ونبرات أختك ليجعلك تغادر بيتك ليلاً .. هذه قدرات فوق بشرية .. ما ورائية .. لا شك فى هذا..

أما فى البيت الذى تركه وخرج كان هناك سيناريو آخر يدور ..

* * *

كانت الزوجة الثانية فى البيت ـ هكذا حكى لى ـ تصغى لعاصفة وترتجف . فتحت النافذة ونظرت للقمر .. خيل لها للحظة كأن هناك ملامح إنسان منطبعة عليه .. كلام فارغ طبعًا ...

منذ قرون يتحدث الناس عن الرجل الموجود فى القمر ، ولكن الحقيقة هى جبال وأخاديد القمر .. الإنسان يتخيل ما يريد ..

هنا دق الباب مرارًا ..

اتجهت لتفتحه .. وضعت أذنها عليه وهتفت :

ـ « من ؟ »

جاء صوت زوجها ناجى متأففًا :

ـ « إنه أنا يا هبة .. افتحى .. من عساه سواى فى طقس كهذا ؟ »

مدت يدها وأزاحت المزلاج .. هنا ـ لسبب لا تعرفه ـ قررت أن تلقى نظرة عبر عدسة الباب .

كان ناجى بالفعل .. ولكن متى ارتدى هذه الثياب الخضراء ؟.. ومنذ متى وجهه مخضر بهذه الطريقة ؟.. هل استبدل ثيابه عند أخته ؟

قالت قبل أن تفتح الباب :

ـ « لماذا بدلت ثيابك يا ناجى ؟ »

ـ « الأمطار .. بحثت عن ثياب لدى شقيقتى .. »

لم تقتنع ..

أعادت النظر عبر عدسة الباب .. وأدركت فى جزء أن هذا ليس ناجى .. هناك اختلاف طفيف لكن من السهل على عين امرأة أن ترصده ..

ــ « أنت لست ناجى .. من أنت ؟ »

جاء صوتها مرتعشًا غريبًا حادًا أخافها جدًا ..

هنا سمعت صوت خطوات تصعد فى الدرج .. نظرت عبر العدسة فلم تر هذا الرجل الذى يلبس الأخضر ... كان القادم ناجى زوجها نفسه بثيابه التى خرج بها .. منهكًا لكنه هو ..

عندما دق الباب فتحته فورًا وارتمت بين ذراعيه باكية ..

ــ « أنت .. أنت .. هناك من كان ينتحل شخصيتك .. »

بدا له الأمر غريبًا لكنه منطقى ..

هناك من قلد صوت أخته ببراعة .. وهناك من قلده هو ببراعة ..

ــ « هل كان هذا صوتى أنا ؟ »

قالت وهى تشهق متهالكة :

ــ « بل هو أنت !!! كنت تقف خارج الباب وتلبس الأخضر..! »

بالنسبة لناجى صار الأمر واضحًا .. زوجته السابقة المتوفاة تلعب معه الألاعيب ..

وكان هذا بالضبط هو الوقت الذى طلب فيه رأيى من جديد ..

* * *

قلت له بعد ما سمعت القصة :

ــ « هناك أغنية أطفال إنجليزية تتحدث عن رجل ذهب للملك والملكة بثياب خضراء .. لكن منظره لم يرق لهما وطرداه ... يبدو لى أنك وزوجتك لعبتما دور الملك والملكة أمس .. هناك من جاء بثياب خضراء وكان هذا غير مقبول .. »

قال لى ناجى وهو يرتجف :

ــ « المهم .. أريد أن تؤكد أو تنفى ما يخيفنى .. شبح امرأتى يحوم حول البيت ، وسوف يظل يفعل ذلك كل خامس من نوفمبر للأبد .. »

ــ « ربما يمكن قطع الحلقة لو طلقت زوجتك أو قتلتها .. أنت تعرف هذه الأشياء .. سوف تحل مشكلة الشبح .. »

ضرب كفًا بكف وأشعل لفافة تبغ وقال :

ــ « لا أرغب فى حل مشكلة الشبح النفسية .. أنا أرغب فى أن يرحل فقط .. »

ثم سالت دمعتان من عينيه وقال :

ــ « هناك جزء لم أحكه لك .. عن مصرع غادة .. »

ــ « تكلم .. »

قال متحاشيًا النظر لى :

ــ « أعتقد أننى مسئول عن موت غادة بشكل ما .. أنت تعرف أنها سقطت فى ساقية الماء بالقرية .. كنت أنا قد طلبت منها أن تجلب لى شيئًا ، وكان الظلام قد بدأ يهبط ، ولم تكن تضع عويناتها .. هكذا انزلقت قدمها وسقطت .. وتمزقت .. »

رحت أفكر فى قصته لبعض الوقت .. ثم قلت :

ــ « إذن أنت تعتقد أنها تريد الانتقام منك لأنك سببت موتها ، ولأنك تزوجت بعدها .. »

ــ « هذا أكيد .. »

قلت له وأنا ألبس سترتى التى كنت قد نزعتها :

ــ « اسمع .. نحن فى منتصف نوفمبر .. على قدر علمى لن يحدث شىء حتى نوفمبر القادم .. لديك إجازة مدتها عام كامل

.. استمتع بوقتك ولسوف أظهر من جديد بعد عام لو لم أمت لأخبرك برأيى .. »

عام كامل ؟.. لم لا ؟.. أنا طبيب .. لا يمكن أن أشخص الحمى إلا لو كان المريض محمومًا أمامى .. هذا بديهى ...

هكذا انصرفت .. وعلى تقويم مكتبى رسمت دائرة حمراء حول يوم 5 نوفمبر ..

سوف نرى .. سوف نرى ..

* * *

الخامس من نوفمبر ..

تذكر .. تذكر .. اليوم الذى صرت فيه وحيدًا .

فتحت النافذة ونظرت للقمر .. الملامح البشرية الواضحة برغم أنه ما زال هلالاً...

ترى يا مدام غادة .. هل تستريح روحك هذه الليلة ؟

انطلقت بسيارتى إلى حيث كان بيت ناجى ، فدقت الباب ..

من الداخل سمعت صوتًا مذعورًا يقول : من ؟..

هذه ليلة سوداء بالنسبة للزوجين طبعًا ..

قلت فى استمتاع :

ــ « أنا رفعت إسماعيل يا ناجى .. جئت لأمضى الليلة السوداء معك .. »

ــ « من قال لك هذا ؟ »

قلت فى استمتاع أكبر :

ــ « كنت قد دونت التاريخ على تقويم مكتبى حتى لا أنسى .. أنت تعرف أننى لا أفوت فرصة لقاء شبح أبدًا .. »

فتحا لى الباب وهما ممتقعان كأنهما شبحان آخران .. كانا ينظران لى فى دهشة وذهول ..

طلبت من الزوجة هبة أن تعد لى بعض الشاى ، فلما انصرفت جلست على أريكة مريحة ونظرت فى عين ناجى وقلت :

ــ « كيف حال القمر ؟ »

قال مهمومًا :

ــ « أحاول ألا أنظر له .. »

للأسف ستكون زيارتى ثقيلة على نفسه فعلاً :

ــ « كان عندى عام كامل أجرى فيه بعض التحريات .. مثلاً ذهبت لقريتك حيث سقطت زوجتك فى الساقية .. قمت ببحث محقق والنتيجة هى أن أحدًا لا يمكن أن يسقط فى هذا المكان مهما كانت الظروف .. لو تعثرت فلن تسقط فى الساقية . يجب أن تفعل هذا بنفسك ــ كما أعتقد رجال الشرطة ــ أو .... يدفعك أحدهم دفعًا .. »

كاد ينهض ليفتك بى فأشرت له أن يتريث :

ــ « ثم تأكدت من أن الفقيدة لم تكن تلبس عوينات .. لم يرها أحد تضع عوينات قط .. هكذا بدأ الفأر (يلعب فى عبى) كما يقولون .. لاحظ أننى لم أسمع من زوجتك الجديدة القصة .. كل ما أسمعه كان عن طريقك أنت .. »

صاح كالمجنون :

ــ « نادها واسألها .. »

ــ « سأفعل هذا .. ثم قابلت جامع القمامة المسئول عن الحى ,, رجل مسن طيب .. قال لى إنه وجد كيسًا مليئًا بالأحذية النسائية

فى قمامتكم منذ عام أو عامين .. الرجل لم ينس هذا لأنها كانت أثمن قمامة وجدها فى حياته .. »

ثم نهضت وأشرت له :

ـ « رأيى الخـاص أنك قتلت زوجتك الأولى .. هنا يوجد احتمالان .. إما أن زوجتك الثانية تشاركك هذه اللعبة لأنكما قتلتما غادة معًا ، أو هى بريئة لا تعرف ولم تر شيئًا .. أنت قلت إنها رأت .. قلت إنها رأت رجلاً يشبهك ويلبس اللون الأخضر .. قلت إن هناك من كان يدق الباب .. كما قلت إن صوت أختك اتصل بك هاتفيًا .. »

هتف وهو يضرب المنضدة بقبضته :

ـ « أنت مجنون .. أقترح أن تغادر البيت حالاً .. »

قلت وأنا أنهض :

ـ « بالتأكيد سأفعل .. لكن تذكر أننى أراقبك .. سوف ترتكب غلطة كاملة يفتضح أمرك .. »

واتجهت للباب وفتحته فى عصبية ...

* * *

كل هذا منطقى ..

لكن لماذا أفتح الباب فأرى ــ فى ضوء السلم الخافت ـ هذا الرجل الذى تآكل وجهه ويلبس ثيابًا خضراء ؟.. برغم كل شىء أراه يشبه ناجى .. يشبه ناجى بشكل مرعب ..

يقول لى :

ـ « كل عام وأنت بخير يا دكتور رفعت .. أعتقد أن وقتًا سعيدًا ينتظرنا ! »

فى هذه القصة كان هناك إيحاء قوى بأغنية أطفال غربية .. هل تعرفها ؟.. لاحظ أنها أغنية محورية للقصة .. ابحث عنها بدقة في كتيب أغانى المهد فى نهـاية هـذا الكتـاب ، وتذكـر أن الإجـابة ليست مباشـرة كما تتصـور !.. دوّن رقم الأغنية واحتفظ به ...

كتيب أغانى المهد

(هناك ثلاثون أغنية لكنها تصلح لستة وعشرين حرفاً ، لذا كررنا بعض الأرقام)

-1-

رفرف بجناحيك يا طائر العقعق .. وحلق ...

اقلب ذيلك ليواتينى الحظ الحسن ..

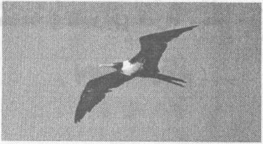
واحد للأسف

واثنين للمرح

وثلاثة للفتاة وأربعة للولد ..

خمسة للفضة وستة للذهب

وسبعة لسر لن يعرفه أحد ...



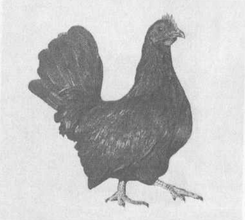
-2-

(هيكتى بيكتى) دجاجتى السوداء ..

تبيض البيض للسادة ..

أحيانًا تبيض تسع بيضات وأحيانًا عشرًا ..

(هيكتى بيكتى) دجاجتى السوداء ..



-3-

اسمع .. اسمع .. الكلاب تنبح ..

المتسولون قادمون للمدينة ..

بعضهم فى ثياب ممزقة وبعضهم فى خرق

وأحدهم يلبس تنورة من القطيفة ..



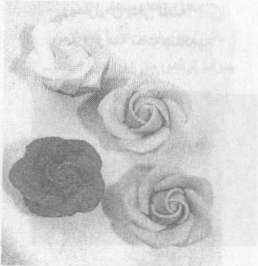
-4-

الورود حمراء ..

وزهور البنفسج زرقاء ..

السكر حلو..

وكذلك أنت ..



-5-

رياح الشمال تهب

والثلج قادم..

فماذا يفعل الطائر المسكين وقتها ؟

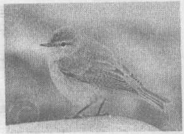
هذا التعس ..

سوف يجلس فى الحظيرة

ويحاول أن يدفئ نفسه

ويدارى رأسه تحت جناحه

هذا التعس ..



-6-

كوكادودل دو

سيدتى أضاعت حذاءها

وسيدى أضاع عصا الكمان

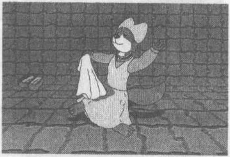
ولا يعرف ما يجب عمله ..

كوكادودل دو

ماذا ستفعل سيدتى ؟

حتى يجد سيدى عصا الكمان

سوف ترقص من دون حذاء ...



-7-

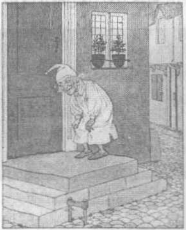
(وى ويلى وينكى) يركض عبر المدينة ..

يصعد للطوابق العليا ويهبط للسفلى فى ثياب نومه

يدق على النوافذ .. ويصيح عبر الأقفال

هل كل الأطفال فى الفراش ؟

لقد تجاوزت الساعة الثامنة مساء ..



-8-

بومة عجوز حكيمة تجلس على غصن بلوط

كلما سمعت أكثر تكلمت أقل ..

وكلما تكلمت أقل سمعت أكثر ..

لم لا نتعلم من هذا الطائر العجوز الحكيم ؟



-9-

(نانسى إتيكوت) الصغيرة

فى ثوبها الأبيض القصير

كلما وقفت أكثر

كلما ازدادت قصرًا ..



-10-

ش ش ! يا صغيرى لا تقل شيئًا ..

بابا سوف يبتاع لك طائرًا مغردًا ..

لو لم يغن الطائر المغرد

فلسوف يبتاع لك بابا خاتمًا ماسيًّا ..

لو صار الخاتم الماسى رصاصًا

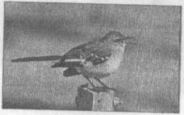
فلسوف يبتاع لك بابا مرآة ..

لو تهشمت المرآة

فلسوف يبتاع لك بابا ماعزًا ..

لو هربت الماعز ..

فلسوف يبتاع لك بابا واحدة أخرى اليوم ..



-11-

هيبر بيبر منظف المداخن

كانت عنده زوجة ولم يستطع الاحتفاظ بها ..

.. ليتزوج أخرى فلم يحبها

لذا ألقى بها فى المدخنة ..



-12-

تذكر .. تذكر ..

الخامس من نوفمبر ..

خيانة البارود والمؤامرة ..

لا أرى أى سبب

يدعونا لأن ننسى

خيانة البارود ..



-13-

رأيت نحلة تجلس على الجدار ..

قالت : بززززززززززززز

وهذا كل شيء !



-14-

فى ليلة سبت

فقدت زوجتى

وأين تظنون أننى وجدتها ؟

كانت هناك فى القمر تغنى لحنًا

والنجوم من حولها ..



-15-

كانت هناك امرأة عجوز

تعيش تحت التل ..

ولو لم تكن قد رحلت ..

فهى ما زالت هناك ..



-16-

لو صار كل العالم ورقًا ..

ولو صارت كل البحار حبرًا ..

وصارت كل الأشجار جبنًا وخبزًا

فماذا سوف نشربه ؟



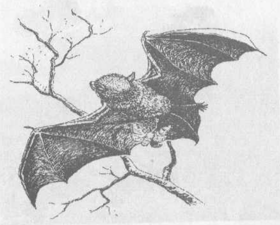
-17-

يا وطواط .. يا وطواط .. تعال تحت قبعتى ..

وسوف أعطيك شريحة من اللحم ..

وعندما أخبز سأعطيك كعكة ..

لو لم أكن مخطئًا ..



-18-

كانت هناك قطتان عند (كيلكنى) ..

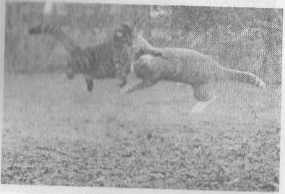
كل واحدة منهما اعتبرت الأخرى لا لزوم لها ..

لذا تشاجرتا بعنف

خدشتا وعضتا ..

حتى لم يبق سوى مخالبهما وطرفى ذيليهما ..

وبدلاً من قطتين لم تعد أية واحدة !



-19-

دكتور فوستر ذهب إلى جلوسستر ..

تحت أمطار غزيرة ..

وقع فى حفرة

حتى بلغ الماء خصره

فلم يعد إلى هناك قط ..



-20-

الرجل فى القمر

نظر من القمر

وقال :

حان الوقت لكل الأطفال على الأرض

أن يدخلوا فراشهم !



-21-

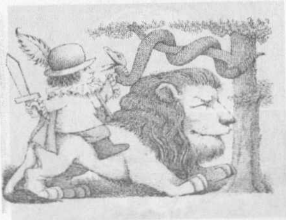
(هكتور بروتكتور) كان يلبس الأخضر

(هكتور بروتكتور) أرسلوه للملكة ..

الملكة لم تحب منظره

وكذلك الملك ..

لذا أعيد (هكتور بروتكتور) من حيث جاء ..



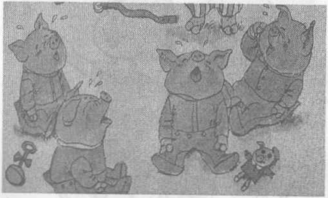
-22-

(إلزى مارلى) تربت تربية مترفة

ليست مضطرة أن تصحو من نومها لتطعم الخنازير ..

لكنها ترقد فى الفراش حتى الثامنة أو التاسعة ..

(إلزى مارلى) الكسول !



-23-

مم صنعت البنات ؟

من السكر والعطور وكل شيء لطيف ..

مم صنع الأولاد ؟

من قصاصات الورق والقواقع وذيول الكلاب ..



-24-

أنا لا أحبك يا دكتور فيل ..

السبب لا أعرفه ..

لكن أعرف وأعرف جيدًا جدًّا

أننى لا أحبك يا دكتور فيل..



-25-

(جاك سبرات) لا يقدر على أكل الدهن

زوجته لا تقدر على أكل اللحم الأحمر ..

لذا كما ترون ..

قد قاما بتنظيف الطبق تمامًا ..



-26-

فى فاى فو فام ..

أشم رائحة دم رجل إنجليزى ..

فليكن حيًا أو ميتًا ..



-1-

(هاناه بانترى)

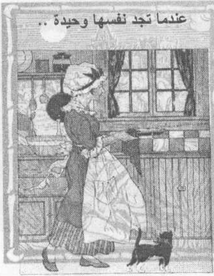
فى غرفة الكرار

تقضم فخذ خنزير ..

يا لالتهامها !

يا للطريقة التى تمسكها بها ..

عندما تجد نفسها وحيدة ..



-2-

قالت لى أمى

ألا ألعب أبدًا مع الغجر فى الغابة ..

لو فعلت هذا تقول لى :

أنت فتاة غير مطيعة ..



-3-

دائرة حول الورود ..

جيب ملىء بالأزهار ..

رماد .. رماد ..

فلنسقط جميعًا للأرض ..



-4-

كانت هناك عجوز تعيش فى حذاء ..

كان لديها أطفال كثيرون لا تعرف ما تصنع لهم ..

أعطتهم بعض الحساء من دون خبز

ثم ضربتهم جميعًا ووضعتهم فى الفراش



الآن لديك مجموعة من الأرقام .. ابحث فى هذا الجدول عن الحروف التى يمثلها كل رقم ..

1	A	8	H	15	O	22	V
2	B	9	I	16	P	23	W
3	C	10	J	17	Q	24	X
4	D	11	K	18	R	25	Y
5	E	12	L	19	S	26	Z
6	F	13	M	20	T		
7	G	14	N	21	U		

مثلاً لو كانت عندك الأرقام 17-6-15-3 فالحروف هى : Q-F-O-C بالترتيب ..

جميل .. جميل .. هذه الحروف تمثل اسم المشتبه فيه والذى حلت فيه روح الصبى الشيطانية .. أعد ترتيبها حتى تجد الاسم الصحيح .. من هو ؟

هل هو كواريمان أم زاكارى أم دوجلاس أم دوجوفان أم بيركمان ؟.. لديك خمسة مشتبه بهم أحدهم امرأة ..

هل عرفت من هو ؟

الآن أرجو أن تقتله .. هذا هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن يحرر رفعت إسماعيل من هذه اللعنة ..

ارسل للمؤلف على العنوان البريدى :

Aktowfik.new@hotmail.com

تخبره باسم من قتلته .. وسوف يعلن المؤلف فى سلسلة ما وراء الطبيعة عن أول عشرة أسماء مصرية وأول خمسة أسماء غير مصرية ، استطاع أصحابها حل اللغز ! السبب طبعًا هو أن الأصدقاء العرب غير المصريين يقرءون هذه المسابقات فى وقت متأخر جدًا .

تمت بحمد الله

شروع القرن الثقافى

وايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

سلسلة
الأعـداد
الخاصة

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

أغانى المهد

إن أغانى الأطفال تثير رعبى منذ زمن بعيد. أعتقد أنها تحمل لمسة من مخاوف البشرية القديمة، ومن المؤكد أنها تشكل مخاوفنا القادمة لفترة طويلة .. أى أن مخاوفنا تصنع هذه الأغانى، وهذه الأغانى تصنع مخاوفنا .. ميراث من الخوف عبر الأجيال، كما أنها تشبه الأحلام فى أنها لا تصرح بشىء ... هناك تلميحات ورموز فقط .. يبدو أن المهتمين بطريقة (يونج) فى التحليل النفسى يجدون دومًا ما يروق لهم فى أغانى الأطفال هذه .. كانت لى قصة رهيبة مع أغانى الأطفال، وفى الوقت نفسه هى أقرب إلى لعبة . هذا هو ما سوف نتكلم عنه الآن ..

22 / 1 / 012

ن فى مصر 500
دلـه بالدولار الأمريكى
ر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع